رواية

المختل

(جنون من نوع آخر)

فريق متميزون
E-BOOK

محمد الناصر

نوفا بلس للنشر والتوزيع
NOVA PLUS FOR PUBLISHING AND DISTRIBUTING

الطبعة الثانية

مكتبة فريق (متميزون)

لتحويل الكتب النادرة الى صيغة نصية

قام بالتحويل لهذا الكتاب:

كلمه مهمة: هذا العمل هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما أمكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج أكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.

وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين أيديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات: فريق (متميزون) انضم الى الجروب

انضم الى القناة

المُختَّل

(جنون من نوع آخر)

محمد الناصر

عن الكتاب..

سلمان البائس يجد نفسه محبوساً داخل غرفة ولا يعرف ما سبب وجوده في هذا المكان؟ يأتيه طعامه وشرابه بشكل يومي من خلال فتحة صغيرة، تمر الأيام ثقيلة عليه ولا يدري من هو سجّانه حتى تتهيأ له الظروف ويستطيع الخروج من تلك الغرفة اللعينة. وعند خروجه يكتشف العديد من الأسرار الغريبة التي جعلته يُحبس في هذا البيت، ويرى العديد من المناظر الغريبة و البشعة، و يكتشف أسرار لم تكن في الحسبان.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ملاحظة

هذه الحكاية

ليست لأصحاب

القلوب الضعيفة

إهداء

إلى كلّ الذين يشعرون بالخيبة،

واحتضنتْهم أنفسهم

أكرهُ المقدمات

اقرأ الأسطر القادمة بعنايـة وتركيز

ملاحظة: كُتبت هذه القصة أثناء جائحة كورونا

1

منذ ثمانٍ وأربعينَ ساعة وأنا محبوس في هذه الغرفة، المكان تقريباً خاوٍ من أيّ شيء، وشبه مظلم، الحيطان أيضاً هي الأخرى كحال سابقاتها وحيدة تنظر إليَّ بذبول، ساعات يومي اختلطتْ عليَّ، فلا أعرف الليل من النهار، كون ذاكَ المكان لا يوجد فيه أيَّة نافذة، وكأنَّهُ شُيِّدَ ليكونَ زنزانة يُحبس فيها أمثالي.

الشيء الوحيد الذي ينبضُ بالحياة تلك الفتحة الصغيرة وسطَ الباب التي تفتح مرة واحدة في اليوم، أرى تلك اليد المغطاة بقفازات شبه جلدية وبنيّة اللون، وهي تمتد منهُ لتضع الطعام والماء ومن ثمّ ترحل. لا أدري ما سبب هذا الصمت الملعون؟،أتمنى أن أقابل أحداً في هذا البيت من أجل أن أتحدّث معه، يكلمني وأكلّمه، يضربني يوبّخني، يفعل بي ما يشاء، لكن لا مجيب. كل شيء هنا موشّحٌ بالصمت.

ناديتُ الرجل أو المرأة التي تأتي وتضع الطعام فأنا لا أعرف من يحبسني؟. فقط أسمعُ صرير تلك الفتحة وينبثق منها النور كبقعة صغيرة ترتكز في زاوية المكان، وبعدَ ثوانٍ تعود الأجواء كما هي عليه بعد أن تُغلق تلك الفتحة دونَ أن أجد من ذلك الشخص أيّة استجابة لرغبتي في معرفته. إنّهم يعذبونني بطريقتهم الخاصة، غير مكترثين بوضعي، انزويتُ في الغرفة واضعاً رأسي بين ركبتيَّ ويديَّ خلفه، أندُب حظي التعيس الذي مايزال يمارس هوايته السيئة معي، بوضع الأشخاص الخطأ دائماً في طريقي.

لا لا، ليس حظي ما يضع الأشخاص في طريقي كي يعذبونني، بل أنا مَن يفعل ذلك لأنني لا أختارُ بشكل جيد، ولا أفكّر قبل أن أخطو أيَّة خطوة، وهذه هي النتيجة: أنا محبوس في غرفة جافة وبشعة، وكل شيء حولي يكاد يُميتُ من الملل.

طبعاً أنتم جميعكم تودّون معرفة كيف وصلتُ إلى هذا المكان؟ ولماذا أنا هنا؟، بعد قليل سأقصُّ عليكم سيرة حياتي من البداية حتى وصولي إلى هنا.

قبل عشر سنوات تزوجتُ، وبعد سنة جاءني أول أبنائي، ومن ثم سارت الحياة بشكلها الاعتيادي. الأمر الذي اكتشفتهُ أنني تزوجتُ بالمرأة الخطأ. نعم كما أقولُ لكم، هذه المرأة لا تُشبهني ولا تقترب بصفاتها من صفاتي، فكلّ ما فيها من صفات على العكس منّي تماماً: أنا كريم وهي بخيلة، أنا أغفر وأتجاوز وهي تُحاسبني على كل شيء. أنا أعتذر إذا أخطأتُ أو حتى لم أخطئ وهي تكابر بكل وقاحة. لا تبادر أبداً، ولا تعرفُ معنى التعاون ما بين الزوجين. الزواج بالنسبة لها وسيلة لإشباع رغبات خاصة فقط، أو جسرٌ لمشروع اجتماعي على الطرف الآخر فقط أن يسهّل القيام به. والأمور الأخرى

بالنسبة لها مجرد أشياء غير هامّة. لكن دعوني أركّز على موضوع بُخلها؛ فهوَ الأهم بالنسبة لي.

تضعُ خارطة طريق لأيّ دينار تريد دفعه، تعاملُ النقود كأنّها أبناؤها، حتى أولادُها لا تعاملهم بعناية هكذا!. تسامرهم تدلّلهم، تغطّيهم، تبكيهم. بالنسبة لها الأموال هي شيء هامّ جداً، والمصيبة أنّها تدّخر الأموال فقط، ولا تدلل نفسها بها، فحسابها البنكي يغصّ بتلك الأموال، بينما حياتُها عادية جداً. إنّها ليست كأغلب النساء اللواتي يعتنينَ بمظهرهنَّ، أو يرتدينَ أفضل الملابس والإكسسوارات.

الملابس تشيخ على جسدها قبل أن ترميها في سلة المهملات، الطعام تخزّنه طويلاً قبل أن يفسد. نعم هذه هي زوجتي، إنّها نقيضي تماماً، فأنا كريم جداً ولا أفكر أبداً بالمال الذي أنفقهُ، أسيرُ على مبدأ: اصرفْ ما في الجيب؛ يأتيكَ ما في الغيب.

كنتُ أبحثُ عن سعادتي ولا أحرمُ نفسي من أيّ شيء، كنتُ أحاول قدر المستطاع ألَّا أحرمَ أبنائي من أيّ أمر يحبّونهُ، بينما والدتهم كانت فقط تعاتب وتتذمر من تلك التصرفات. لكن في النهاية تُشاركنا في كل شيء، سواء بالأكل أو باللبس أو بالتنزه. ما يهمّها ألّا تصرف أيّ مبلغ من جيبها، وأن تعيش كطفيلي يتغذّى على قوت الآخرين.

وكما هي عادة الكرماء، الذي يسرفون في الإنفاق ولا يفكرون في الأيام السوداء، دار دولاب الأيام، ليضعني في زاوية ضيقة، نعم ضيّقة جداً. كنتُ محاصراً من كل جانب بالديون، قروض البنوك... مستحقات الشركات وغيرها، كلّهم يطالبونني بسداد فواتيري،وطبعاً هذا كله نتيجة إسرافي وصرفي غير المعتدل حتى عجزتُ عن تسديد كل شيء، وبدأتُ أطلبُ للمثول في المحاكم، وأصبحتُ زائراً بشكل شهري لمبنى قصر العدل.

أتقلّب على نار القضايا المرفوعة من تلك الشركات، وكما تعلمون الدَّين مستنقع خادع كلما غاصتْ قدماكَ فيهِ، وكلما غصتَ في ذلك الوحل تجدْ نفسك غارقاً إلى ركبتيك، ومن ثم يبتلعكَ بلا رحمة.

البخل صفة تجر وراءها العديد من الصفات السيئة، أوّلها عدم الوفاء، وهذا ما وجدتهُ في زوجتي التي كانت أول من يبتعد عني بكل هدوء، كأنّها غير معنيّة بأيّ شيء يحصل معي ولي. أخذتْ جميع أغراضها ورحلتْ إلى بيت أهلها! كانت صدمة متعبة، أعلمُ أنّها دنيئة، لكن لم أظن أنَّ دناءتها بهذا المستوى.

كانت تردد دائماً، تلك الأسطوانة قبل رحيلها..

- هذا الذي كنتُ أحذّركَ منه، التصرف بأموالكَ بلا عقل.

أكرهُ اللائمين عند حصول المصيبة، إنّهم يزيدون مصيبتكَ بشكل افتراضي، لا يضعونَ الحلول لك، لا يربّتونَ على كتفكَ، يلومون ويلومون بلا هوادة. لا يعلمون أنَّنا في هذا الوقت نحتاجُ إلى يدهم لا إلى ألسنتهم، وهذه الحقيرة لم تكتفِ باللوم بل زادَ من خسَّتها أنّها تخلّت عني مع سبق الإصرار والتصميم.

لا أنكرُ أنَّ بعض كلماتها فيها بعضٌ من الحقيقة، في الوقت نفسه أعلم جيداً أنّها لا تفكر سوى بنفسها، وما فعلتهُ خير دليل على ذلك.

ذلك اليوم، بينما أنا جالس لوحدي في المنزل رنَّ هاتفي..

كان على الطرف الثاني رجلٌ غليظ الصوت قال لي:

- معكَ المحامي الفلاني، من طرف زوجتك.

الذي فهمتهُ منه أنَّ زوجتي رفعت عليَّ قضية خلع، فهي لا تريد بقائي معها، ويتمنى ذلك المحامي أن نحلّ المشكلة بهدوء دون توسيع دائرة القضيّة وتعقيدها، كانت ليلة بائسة بالنسبة لي.. بائسة كثيراً.

وكما هو حال البائسين: الاستسلام، فلم تكن لديَّ أيّة قدرة على تحمّل أيٍّ من القضايا أو زيارة قاعات المحاكم، كل ما قلتُ له بيأس:

- دعها تفعل ما تشاء.

أصبحتُ كقطعة خشب سطَ محيط تتقاذفها الأمواج مستسلمة، وتسير حسب اتجاهات التيارات، بالكاد أجدُ قوت يومي، أهلي حاولوا مساعدتي لكنْ أعلمُ جيداً أنَّ حالتهم المادية ليست جيدة، وهم بالكاد يغطون مصاريف عيش عائلاتهم.

أصبح يومي موزعاً بين الذهاب إلى العمل والعودة إلى المنزل والجلوس لمراقبة الحيطان والأسقف، ورنين الهاتف والرسائل لا تتوقف، الكل يطالبونني بتسديد ديونهم. أفكّر دائماً: أين كنتُ وإلى أيّة حال وصلت؟، كل هذا لأني كنتُ كريماً مع نفسي ومع الآخرين، والبخلاء يعيشون حالياً دور الأبطال في هذه الحياة.

وتأكدتُ إنّني إنسان غير محظوظ بالنساء، فزوجتي لم تكن الأولى في حياتي، بل كانت الثانية، فلقد تزوجتُ قبلها وبالتحديد بعد انتهاء فترة الغزو مباشرة، بعد تعرّفي على فتاة عربية وارتباطي بها. أصبحت حبّي وبوصلة حياتي، تزوجتُها سريعاً دون علم أهلي، وقمتُ باستئجار أحد أدوار هذا البناء الذي أصبح ملكي بعد ذلك. لكنْ وقتها كنتُ شاباً متهوراً مجنوناً بحب زوجتي، أغارُ عليها من الهواء، كونها فتاة جميلة وعصرية، لم أهتم كثيراً لمضايقاتي لها،

كنتُ أنانياً إلى حدّ الجنون بسبب غيرتي غير المقنعة، حتى وصلتُ معها إلى طريق مسدود بسبب المشاكل الكثيرة التي تحصل بيني وبينها.

أصبحتُ سجَّانها وليس زوجها، وصلَ بي الأمر إلى حبسها في غرفة مثل تلك التي أنا محبوس فيها الآن، خوفاً من أن يراها أحد، أو ينظر إلى جسدها. كنتُ غيوراً بجنون، وعدتُ ذات يوم إلى المنزل ولم أجدها. لقد هربت دون رجعة، ولا أعرفُ إلى أيّ مكان قد هربت، أيّ حب كنتُ أحمله في صدري اتجاهها؟. أبلغتُ الشرطة والتي قامَ عناصرها ببحث كبير لكنّهم في النهاية لم يصلوا إلى أيّة نتيجة، وظنوا أنّني متورط أو سببٌ في اختفائها، وأقوم الآن بتمثيلية أمامهم. لكن في النهاية لم يصلوا إلى نتيجة أو يجدوا أيّ دليل يتّهمونني بناءً عليه بإخفائها، ودائما تموتُ الأشياء بنسيانها، وماتت قضية زوجتي المفقودة مع مرور الزمن والأيام.

وبدأتُ أنا أعيد ترتيب حياتي من جديد، والتأقلم مع نسيان زوجتي، والتفكير بجدية في الزواج مرة أخرى، وتوقعتُ أنَّها استطاعت بطريقة ما العودة إلى بلدها والاختفاء فيه، لتنتهي بذلك فترة زمنية من حياتي. تذكرتُ زوجتي الأولى التي من الممكن أنَّ القدر في الوقت الحالي يعاقبني بها، بعد أن وجدتُ نفسي مسجوناً في غرفة سجنتُ داخلها زوجتي الأولى.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

2

المنطقة التي أسكنُ فيها الآن، شيّدت في بداية تسعينات القرن الماضي، إنّها (القرين) والتي تمّت تسميتها في وقت لاحق محافظة (مبارك الكبير)، وجزّئتْ إلى عدد من الضواحي، منها ضاحية (القصور) التي يقع فيها مسكني. والشارع الذي يطلّ عليه شبه دائري يتوسّطهُ عدد من مواقف السيارات التي تخدم سكان المنازل. نعم أعرف جيداً من يعيشون حولي من جيران، وهم يعرفونني أيضاً، لكن في هذا الزمن الجميع يعيشون وحيدين، غير مكترثين بحال جيرانهم، وما يصيبهم من مشاكل. فقط نعرف بعضنا البعض بالأسماء.

وأنا لستُ من ذلك النوع الذي يتحدث كثيراً ويشكو حاله لأحد، أو يطلب المساعدة. لديّ كرامة وعزة نفس كبيرة، أفضّل أن أبتلع حزني وقهري، وأفكّر أنّه لا أحد يكترث بي. أتخيّل أنني إذا طلبتُ من أحدهم مبلغاً من المال؛ فسيرفض ذلك الشخص مساعدتي، هنا أتمنّى أن تنشقّ الأرض وتبتلعني، وألّا أقع في هذا الموقف.

كما هي عادتي اليومية أجلسُ أمام باب بيتي، قبل الغروب بساعات أراقبُ السيارات الذاهبة والغادية، وبعض الأشخاص الذين يسيرون في الشارع. وذاتَ مرةٍ لمحتُ من بينهم ذلك العجوز الذي يقع مسكنه على طرف الشارع، إنّه ذو النظارات السوداء الغريبة والسميكة والتي تميّزه بشكل كبير عن باقي سكّان هذا المكان، فقلتُ بيني وبين نفسي:

- كيف أشكو عدم تحمل حالتي والعيش لوحدي، وذلك العجوز المسكين يسكن في بيته لوحده منذ سنوات طويلة؟

نعرفهُ باسم: (أبو نورة)، لكننا لم نرَ نورة أو أمها، يقولون إنَّ هذا الرجل قد فقد زوجته خلال فترة الغزو العراقي للبلد، لقد خرجت ذات مرة في أحد ليالي تلك الكارثة ولم تعد من بعدها إلى البيت، وكان العم أبو نورة كما يطلقون عليه يعشقها إلى حد الجنون، وكما يقولون إنَّ هذا الرجل دخل في حالة نفسية سيئة بعد فقدان زوجته. لقد لجأ إثرَ تلك الحادثة إلى الطب النفسي لمدة أكثر من عام، ليعود بعدها إلى بيته لكن بحالة انطوائية شديدة، أصبحَ قليل الكلام مع الناس، ومنعزلاً بشكل كبير جداً عنهم. ومن يومها قرَّر عدم الزواج من أيّة امرأة، وفضَّل البقاء عازباً، يعيش على ذكراها الخالدة.

الجميع يحبّونهُ في شارعنا، لكنّه رجل انطوائي لا يختلط مع أحد لا من قريب ولا من بعيد. لا نراه إلا قليلاً وبالتحديد عندما يذهب إلى فرع الجمعية التعاونية القريبة من شارعنا، يلقي السلام فقط، من ثم يعود ويلوذ بمنزله الكبير،

وطبعاَ من لا يسكنون حيَّنا يظنون أنَّ منزل أبي نوره مهجور بسبب حالهِ الغريب وأنواره المنطفئة دائماً، مظهرهِ الخارجي المهمل.

لا نرى أمام بيته إلا تلك القطط التي تنام على زوايا الِأبواب والنوافذ، فأغلبُ قطط الحي تذهب بشكل مستمر إلى بيته، فهو يعتني بها ويعطف عليها، فنرى دائماً هذه الحيوانات الفضولية تتزاحم على بيته. يبدو أنَّها أصبحت زائراً مستمر له، حتى الحيوانات تعرف مَن يدللها فتتجه إليه، وهذا العجوز ليس لديه أيّ هدف سوى إطعامها، وتراها تحوم حوله وتتودد إليه فور خروجه من المنزل. إنّهُ مشهد مألوف كنتُ أراه في السابق ولا أكترثُ له، لكن اليوم بدأتُ أركّز نظري عليه.

وكما هي حال تلك البيوت المغلقة والقديمة، فنارُ الشائعات دائماً ما تحرقها، فهناك العديد من القصص التي انتشرت، البعض يقولون إنَّ أبا نورة يقوم ببعض أعمال الشعوذة والسحر، بسبب رائحة البخور التي دائماً ما تنتشر من بيته بشكل مستمر، والبعض الآخر يقولون إنَّ أبا نورة لديه العديد من الشركات، ويملك العديد من الأموال التي يكتنزها في بيته، وغيرها من القصص التي نسجت حولَ هذا الرجل ومنزله الكبير.

في سابق الأمر لم أكن أكترثُ لما يدور حول أبي نوره وبيته. لكن بعد أن وصلتْ الشائعات إلى هذا الحال من الانتشار بدأتُ أهتم كثيراً، لأنَّ هناك شيئاً ما يدور في رأسي حالياً، أريد التأكد منهُ: هل أبو نورة يخفي أمواله أو مجوهراته في بيته؟، إذا كان ما يقولون صحيحاً فهي فرصة سهلة من أجل... نعم هذا ما أفكر به.

سرقة بيت أبي نورة، أعتقدُ لم يفكر أحدٌ بهذه الفكرة في شارعنا، أو ربما البعض غير متأكدين من تلك الشائعات التي ليس لها أيّ أساس من الصحة، وهناك من يتعاطف معه كونهُ وحيداً منذ زمن بعيد، بينما أنا الغريق الذي يبحث عن أيّة قشة من اجل التعلق بها، وبيت أبي نورة وكنوزه هي تلك القشة التي أريدُ التمسك بها؛ لكي تصل بي أخيراً إلى برّ الأمان.

أعلم جيداً أنّها فكرة غير مناسبة لمن هم مثلي، وبنفس الوقت لا أجدُ أيَّ حل سوى أن أقوم بهذا الفعل، فأنا مجبر أريد إغلاق تلك الأفواه التي لا تتوقف عن المطالبة بالدَّين، أريدُ أن أعيش بهدوء من جديد. كل شيء حولي أصبحَ بلا طعم، أنا المحب للحياة والمنطلق نحوها، اليوم لا أتلذذ بأيّ شيء، والألوان الباهية أصبحت في نظري كلها رمادية.

كنتُ أدرسُ حال الرجل بشكل جيد، أتسكّع في شارعنا بشكل يومي، أراقبُ المنزل من بعيد، أرسم خطتي بشكل واضح وصريح، حتى أستطيع أن أصل إلى كنوز هذا الرجل، إلى أن وضعتُ تلك الخطة التي من خلالها أستطيع

اختراق حصن ذلك البيت الكبير، وبنفس الوقت كنتُ أريد إيجاد خطة محكمة لا تترك وراءها أيّة خيوط أو دلائل تدل أنني أنا وراء تنفيذها في حال تمَّ إبلاغ الشرطة. لا أنكر أنني كنتُ خائفاً جداً ومرتبكاً؛ فأنا غير متمرّس في مثل هذه الأمور، لكنَّ الحاجة والظروف تدعوكَ للتفكير في أمور جنونية.

بيت العم أبي نورة مؤلفٌ من طابقين، ولديه حديقة أمامية مطلّة على واجهتين: سور المنزل عالٍ جداً، ومؤلف من جزأين: الجزء الأرضي مصنوع من الطابوق، بينما الجزء المرتفع منه مشيّد بالحديد الأسود ذي النهايات المدببة، وهذا الشيء من الممكن تجاوزه بسهولة كوني لستُ من أصحاب الأجسام الضخمة، فوزني يساعدني على التسلق بسلاسة.

واجهة المنزل ضخمة وكبيرة، ويوجد هناك العديد من النوافذ الكبيرة، كنتُ أركّز النظر على نافذة واحدة هي التي لا تطل بشكل رئيسي على الشارع العام، وجانبية من الجهة الشمالية. هي التي من الممكن أن تساعدني على الدخول إلى منزل هذا العجوز. وأعتقد أنَّ هذا الرجل ينام في غرفة واحدة والبيت كبير جداً، ولن يحسّ بتنقلي ما بين الغرف. كل ما أريدهُ سرعة إنجاز هذه المهمة التي أصبحت حملاً ثقيلاً على صدري.

أمضيتُ أكثر من أسبوع وأنا أفكر، التردد يزداد كلما اقتربَ موعد التنفيذ، لكنّي عازم على الفكرة، ولا أجدُ إلا هذا الحل من أجل اقتحام منزله والفوز بأمواله، حتى أتمكّن من حل مشاكلي المادية، خاصة وأنّني مهدد بالسجن.

اقتربَ موعد التنفيذ الذي حدّدتهُ في ذهني، لا أريد اختيار يوم في نهاية الأسبوع؛ فأغلب الناس يسهرون في هذا الوقت، أريد أن أختار يوماً عادياً جداً. يوم الاثنين هو الأكثر ملائمة كونهُ يتوسّط الأسبوع، وأغلب سكان الشارع يخلدون إلى النوم مبكراً استعداداً ليوم عمل جديد. توقيت تنفيذ المهمة سيكون في الواحدة فجراً، لأنَّ أغلب الناس يكونون نياماً. كل ما عليَّ مراعاة السرعة والمرونة، بقيَ يومان على يوم الاثنين، وأحتاجُ إلى التركيز كثيراً، مايهمّ هو نجاح المهمة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

3

لم أكنْ أبالي بأيّ شيء، وضعتُ كل المحاذير وراء ظهري، أنا أمام مفترق طرق: إمَّا النجاة ونجاح المهمة، أو أنَّ كل شيء سيضيع. أصبح الأمر عندي سيّان، وهذا حال من تحكّمت به ظروف مثل ظروفي، وخذلهُ أقربُ المقرّبين.

كنتُ أفكر في شيء واحد، لأنّني لم أجد له أيّة إجابة: أين يخفي هذا العجوز أمواله ومجوهراته؟، هذا هو العائق الذي من الممكن أن يفسد كل شيء، في حال كان يخفيهم في مكان بعيد أو سري للغاية. درستُ كل الاحتمالات ووضعتُ لها الخطط البديلة في حال طرأ أمر مفاجئ، إنّها الفرصة الأخيرة للعودة إلى السلام مع الحياة من جديد.

لا أنكرُ أنَّ قلبي يدق بشكل كبير في هذه الساعة، لكنّني كنتُ أحاول قدر المستطاع التركيز على ما أقوم به. الساعة تقترب من الثانية عشرة والنصف. أحضرتُ معي بعض الأدوات التي أخفيتُها في جيوب ملابسي، ما سهلَ حملهُ وإخفاؤه ويمكن الاستفادة منه. خرجتُ من المنزل قبل إتمام المهمة بنصف ساعة، استنشقتُ هواء عليلاً بعد محاصرة أجواء المنزل السلبية لي، أخذتُ شهيقاً وزفيراً طويلين، أمعنتُ النظر في بيته البعيد، إنني أدرسُ خطتي من جديد، وأرسم ذلك السيناريو الذي يجعلني أدخل البيت بهدوء وسلاسة.

وخرجتُ أسير في شارعنا الصغير بحجة ممارسة رياضة المشي، رحتُ أدور في تلك المنطقة الصغيرة بهدوء؛ كون الشارع ساكناً والجميع يتدفأ في بيته بسبب برودة الطقس في هذه الساعات، لكن لم أكن أتصور مشاهدة أي شخص من سكان الشارع، وتفاجأتُ بأحد الشبان من الجيران الذي صدمني وجودهُ واقفاً أمام بيته. إنّه أبو سالم كما يطلقون عليه، ذلك الجار الثرثار الذي لا يتوقف عن الكلام، يظن أنَّ الجميع مثله متفرغين ويودون تبادل الكلام مع بعضهم. يا الهي! يالهذا الحظ العاثر! لقد وقعتُ في شباكه.

ألقى السلام ثم تقدَّم نحوي، كأنّه فاز بفريسة، وقال لي وهو يضع السيجارة على طرف فمه ويتكلم:

- شيء جميل أيّها الجار، ممارسة الرياضة في هذا الجو الجميل.

هززتُ رأسي أؤيد كلامه، ولا أنكر ارتباكي من الداخل، ثم أردفَ حديثه وهو يخرج قدَّاحته لإشعال سيجارته:

- أشكرُ السيجارة التي أخرجتني من المنزل لكي أحظى بالحديث معك، زوجتي تتضايق دائماً من رائحتها ومن دخانها.

هنا انتبهتُ إلى وضعي المرتبك وتداركتُ الموقف، ثم دخلتُ معه في الحديث محاولاً جعل الأجواء طبيعية..

- ليتها تحرقُ كل علب السجائر التي عندك؛ حتى تكفّ عن هذه العادة التي تهدر مالكَ وصحتك.

ابتسمَ وهو يسحب أنفاساً من سيجارته، وقال..

- كلّكم تقولون هذا الكلام، لكنّكم لا تعلمون أنَّ هذه الصغيرة نديمٌ رائع، عندما يغيب الآخرون..

ثم توقفَ عن الحديث، وكأنّه فطن إلى شيء ما وقال:

- لم أركَ من قبل تمارس رياضة المشي في الشارع، إنّها المرة الأولى، ما الذي تغير؟

أجبتهُ وأنا أحاول التماسك، خاصة وأنَّ تفكيري كله ينصبّ على تلك المهمة، قلتُ:

- مللتُ قلة الحركة فقررتُ تحريك جسمي، ولن أتوقف أبداً عن المشي ابتداءً من اليوم.

هزَّ رأسه بهدوء كأنّه غير مقتنع بكلماتي، وقال:

- ممارسة الرياضة شيء صحّي وجميل، استمر أيّها الجار العزيز .

هنا قلتُ له:

- سأدعكَ لتكمل سيجارتك وأكملُ أنا رياضتي، ثمّ أعود إلى منزلي، لديَّ غداً صباحاً أشغال كثيرة.

مدَّ يده على كتفي، وقال:

- إلى أين؟.. مايزال الوقت مبكراً، لو كنتُ أرتدي ملابس مناسبة لصاحبتكَ في المشي.

يالهذا الرجل الذي لا يكفّ عن الثرثرة، كما قلتُ لكم: إنّه يلتصق بالجميع.

ابتسمتُ ابتسامة صفراء، وقلتُ له:

- أعدكَ خلال اليومين المقبلين أنني سأزوركَ ونتسامر، لا تنسى أنّها ليست المرة الأخيرة التي سأمارسُ فيها رياضتي. غداً وبعدِ غد ستراني هنا، كل ما

عليكَ تجهيز نفسك وارتداء ملابس ثقيلة كي نسير معاً..

هنا انطلقتُ مسرعاً أحاول تودعيه، بينما بقيَ هوَ ينفثُ دخان سيجارته وينظر إليّ من بعيد.

كنتُ أسير وكلّي أمل أن يعود هذا الجار إلى بيته، وتسير جميع الأمور على ما يرام. بقيتُ أسير في الشارع لمدة أكثر من خمسَ عشرة دقيقة، حتى يراني ذلك الجار بهذا الحال، وبالفعل حصلَ ما كنت أريد، دخلَ ذلك الثرثار إلى منزله، وساعة التنفيذ قد اقتربت كثيراً.

غيّرت طريق سيري واتجهتُ ناحية بيت ذلك العجوز، لا أريدُ الالتفات خلفي محاولاً التركيز ناحية هدفي. ومن الأشياء المفرحة أنَّ منزل هذا الرجل يقع في رأس الشارع، وفيهِ ممرّ صغير ومظلم نوعاً ما، وهذا الطريق يخفيني بشكل جيد، من خلاله أستطيع تسلق هذا السور، كما قلتُ لكم: جسمي نحيل وخفيف.

أتممتُ المهمة الأولى واستطعتُ تسلّق ذلك السور، إنني أسير الآن في فناء بيته، وكما قلتُ لكم: أسير بهدوء وحذر لا أريد إثارة الجلبة والضوضاء. اخترتُ احدى النوافذ الجانبية التي لا تطل على الشارع الرئيسي كي آخذ راحتي بفتحها. لا أنكرُ أنَّ النافذة كانت محكمة الإغلاق، وكأنَّ هذا العجوز يعلم جيداً أنهُ في يوم من الأيام سيأتي شخصٌ مثلي ويحاول اختراق أسوار بيته.

استمرّت محاولة فتح النافذة أكثر من عشرين دقيقة، رغم برودة الجو إلا أنّني كنت أتصبّب عرقاً، هل هو الخوف الذي يكثف الأدرينالين في جسدي؟، ويثير في داخلي مشاعر أخرى؟، كانت النافذة الداخلية محاطة ببعض القضبان الحديدية، وبعد أكثر من محاولة استطعتُ أن أثني أحدها، واستطعتُ إحداث فتحة صغيرة. كما قلت لكم: جسمي النحيل كان مفيداً في هذا الوقت، من خلال تلك الفتحة الصغيرة التي أحدثتُها استطعتُ المرور بكل سلاسة، ثمّ قفزتُ إلى الداخل لأجد نفسي وسطَ إحدى الغرف.

كان المكان مظلماً كثيراً، أخرجتُ المصباح الضوئي الصغير من جيبي، وبدأتُ أستكشف المكان بنور ذلك المصباح. الغرفة خالية تماماً، يوجد فيها بعض الأثاث الذي كان واضحاً أنّهُ مهمل تماماً. تقدمتُ ناحية الباب، فتحتهُ بهدوء، لأجد خلفه ممراً صغيراً جداً، يبدو أنَّ هذا الممر سيأخذني إلى الغرف الأخرى. كنتُ أسير ببطء شديد وبحذر، لأنني لا أريد أن ينكشف أمري بإصدار الأصوات، حتى لو كان الرجل عجوزاً فالأمر يحتاج إلى التروي كثيراً وإلى عدم التهور. كنتُ أفكر أنني أنجز المهمة بهدوء ولا أتركُ خلفي أيَّ دليل.

بعدَ ثوانٍ وجدتُ نفسي في الصالة الأرضية، كانت كبيرة وواسعة، يتصدّرها العديد من النوافذ التي تطل بشكل مباشر على الشارع، نظرتُ ناحية السلم، فصدمني وضعه؟ كان مغلقاً، وكأنَّ صاحب البيت لا يريد لأيّ أحد الانتقال إلى الطابق الثاني.

وضع ذلك العجوز العديد من قطع الأثاث على مدخل السلم. رحتُ أفكر ملياً: لماذا هذا الرجل يفكر بهذه الطريقة؟، درتُ بوجهي داخل المنزل أبحثُ عن منفذ أو غرفة أحاول الدخول إليها واستكشافها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

4

في الطابق الذي أقفُ فيه غرفتان فقط، كنتُ متأكداً أنّ العجوز ينام في إحداهما، كون الطابق الثاني مغلقاً تماماً كما كنت أرى. تقدمتُ ناحية الغرفة الأولى الذي كان بابها موارباً وشبه مفتوح، فتحتهُ بهدوء وكما كنتُ متوقعاً إنّها غرفة أبي نورة الذي أراه الآن نائماً على سريره، وهذا الأمر جعلني مطمئناً كثيراً لأنني عرفتُ أين ينام ذلك الرجل، وبذلك أبحث بحرية مطلقة فيما تبقّى من مساحة المنزل.

ستكونُ غرفته هي الأخيرة بين تلك الغرف في عملية بحثي عن المال في حال لم أجد أيَّ مال في الغرف الأخرى. دخلتُ الغرفة الملاصقة لمكان نوم العجوز، ورحتُ أبحثُ في داخلها عن الأشياء التي أنوي سرقتها، لكن للأسف لم أجد أيَّ شيء.

كان المكان خاوياً إلا من الأثاث وبعض الحاجيات غير الهامّة، خرجتُ بيأس وبدأتُ أبحث في صالة المنزل، في المطبخ، في الغرف الصغيرة، حتى إنني دخلتُ إلى الحمام من شدة تركيزي، فلم يبقَ في هذا الطابق سوى غرفة العجوز. تقدمتُ ناحيتها بخوف شديد؛ فهذه المرة البحث سيتمّ بحذر مضاعف، فهناك شخص ينام في الغرفة. كما قلتُ لكم: حتى لو كان عجوزاً، فمهمتي هي البحث عن الأموال وسرقتها، ولا أريدُ ترك أي شيء خلفي يدل عليّ.

كانت جميع أطرافي ترتعش، والعرق بتصبب من أعلى جبيني، أنظرُ بتركيز ناحية جسد العجوز الذي كان مندساً في فراشه بشكل كامل، لا أسمع سوى أنفاسه خلال نومه. اتجهتُ ناحية الدولاب، وقمتُ بفتحه بهدوء شديد ونظرتُ إلى داخله بتركيز. استمرت عملية البحث المربكة أكثر من سبع دقائق تقريباً، ولم أجد ما أريدهُ، هذا الرجل العجوز يخفي كل أمواله ومجوهراته بعيداً عن العين.

لا.. طرأ في بالي خاطر، قلتُ لنفسي: ماذا لو كان هذا العجوز لا يملك أي شيء؟، ويعيش على راتب التقاعد، إنَها لمصيبة!، وكل تلك الأحلام ستتبخر، وأعود إلى بيتي (بخفي حنين) كما يقولون. خرجتُ من غرفته بجهد نفسي كبير، وجلستُ على إحدى الأرائك في الصالة، لا أريدُ الخروج خاوي اليدين.

كنتُ أفكر بدقة وأتساءل: أين يخفي أمواله؟، لم يتبقَّ لدي سوى الانتقال إلى الطابق الثاني، فكرتُ بتأنٍّ وكنتُ أقول لنفسي إنَّ الطابق الثاني شبه مهجور، والدليل أنَّ العجوز قد ملأ مدخل الدرج بالأثاث القديم. لحظة، من الممكن أن تكون تلك حيلة من العجوز، حتى يبدو لكل من يريد سرقة منزله أنَّ ذلك

المكان مهجور، وأمواله حقيقةً مخفية داخلهُ. أنا أعلم بخبث كبار السن، فهم يملكون من الخبرة الشيء الكثير.

تقدمتُ من الأثاث الموجود عند مدخل السلم، وكنتُ أعلم أنني أمام مهمة شاقة ودقيقة، كوني لا أريد إصدار أيَّ صوت، وإبعاد هذا الأثاث يحتاج مني الهدوء والرويّة. ما يهمّ هو تكوين فتحة صغيرة تجعلني أمرّ من خلالها إلى الطابق الثاني.

وبدأتُ المهمة الشاقة والمتعبة، لا أنكر أنني كنتُ أصدرُ أصواتاً، لكن في الوقت نفسه كنتُ أدقق النظر حولي، ولا أريد إيقاظ ذلك الرجل من نومه، ما هي إلا دقائق حتى استطعتُ إحداث ممر صغير بين قطع الأثاث، أستطيع العبور من خلاله إلى الطابق الثاني.

كنتُ لحظتها أنظر إلى ذلك الممر متأهباً للتقدم فيه، لكن بعدها اسودّت فجأة الدنيا في وجهي، وشعرتُ بدوار كبير، وهذا كل ما أذكر. وبعدها أفقتُ لأجد نفسي في تلك الغرفة الجافة، وشبه المظلمة. وأعتقد أنّه مرَّ على وجودي هنا أكثر من ثمانٍ وأربعين ساعة، يأتيني الطعام من تلك الفتحة الصغيرة، كذئب جريح، لا أستطيع من خلالها الكلام مع أحد، كم تمنيتُ أن يأتي عناصر الشرطة ويقبضون عليّ ولا أبقى في هذا المكان ولو ساعة واحدة.

هذا سبب وجودي في هذه الغرفة اللعينة. هل من المعقول أنَّ العجوز هو من قبضَ عليَّ وجعلني محبوساً هنا؟، هذا جائز كثيراً، خاصة أنَّ هناك بعض الآلام التي أشعر بها في رأسي! لربما هو مَن ضربني على رأسي وبعدها أغميَ عليَّ، ومن ثم تمَّ نقلي إلى هذا المكان.

السؤال هنا: لماذا يحبسني أبو نورة هنا؟ لماذا لم يقم بتبليغ الشرطة حتى يستطيعوا القبض عليَّ ومحاكمتي؟، يومان وأنا أعيشُ حالة من الفوضى والترقب، أيّ نوع من العجائز هو الذي يسكن هذا البيت الكبير؟.

راحت الأفكار تأخذني يميناً وشمالاً، ولا أعرف ما المدة التي سأبقى خلالها محبوساً هنا، وبماذا يفكر سجّاني؟ كنتُ تائهاً إلى أبعد حد، وأندبُ حظي السيئ الذي دائماً ما يوقعني في المشاكل التي لا تنتهي.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون E-BOOK

5

أصبح جسمي هزيلاً، ونما الشعر على كامل وجهي. ثيابي بالية، واليأس صار جليسي، حفظتُ كلّ أركان هذه الحجرة الجافة وشبه المظلمة، وأصبحتُ ككلب حواسّه متوثبة ومعدته تقرقر عندما تُفتح تلك الكوّة الصغيرة التي تتوسط الباب، والتي من خلالها يأتي طعامي وشرابي.

على ما يبدو أنَّ شهرين قد مرَّا وأنا محبوس في هذا المكان. أتمنى أن أكون دقيقاً، لأنَّ الأيام والساعات قد اختلطت عليّ كون جسدي لم تمسّهُ أشعة الشمس منذ مدة، وأعلمُ أنَّ يوماً جديداً قد حلَّ عليّ من دخول ذلك الطعام إليّ من تلك الفتحة الصغيرة.

حاولتُ في الفترة الماضية التحدث مع ذلك الشخص الذي يحبسني، وكلي يقين أنّهُ ذلك العجوز اللعين، لكن لم يتفضل بالرد على أسئلتي، كان يترك الطعام ويرحل ولم أرَ سوى تلك القفازات بنية اللون القريبة للاسوداد تخرج من تلك الفتحة.

تمنيتُ لو يعود بي الزمن إلى الوراء، أنا مستعد أن أبقى مع ندمي وأن أكوى بنار حسراته ولا أبقى في هذا المكان دقيقة واحدة. أتمنى لو أنتقم من ذلك التفكير الذي دفعني إلى هذا المكان وجعلني أتسوّر هذا البيت، هناك أفكار تبدو من بعيد لامعة كالألماس،وعندما تقترب من حيّز التنفيذ تفاجئنا أنها قطعة زجاج لا تساوي شيئاً، وهاأنا أدفع ثمن أفكاري الرخيصة.

لا أنكر أنني فكرتُ بالانتحار عدة مرات، لقد يئستُ يئستُ كثيراً، لكنّي جبان أخاف الموت، ومتعلق بأمل بسيط أن ينقذني أحد من هذا العذاب كله، لكن متى وكيف؟ لا أعلم، فكل الفرص مفقودة في هذا المكان، كونه مغلق بشكل محكم، والمنفذ الوحيد له هو الباب الحديدي الذي حفظتُ تفاصيله، ولا يُفتح إلا من الخارج كما أراهُ الآن، نعم يئستُ كثيراً، وتيقنتُ أنني سأموت في هذا المكان لا محالة، كون سجَّاني إنساناً غير معروف، وغريب الأطوار.

حتى جاء ذلك اليوم، وقُلبت الأحداث كلها رأساً على عقب. كنتُ ما بين النائم والمتيقّظ، أسمعُ صوت جلبة بسيطة عند ذلك الباب الحديدي. كنتُ أظن أنَّ سجاني هو من يقف في ذلك الوقت ويصدر صوتاً، لكنَّ عقلي الذي أصبح مبرمجاً يؤكد أنّها ليست ساعة قدوم ذلك الشخص الذي يحبسني في هذا المكان. لم أتحرك من مكاني وقتها؛ لأنني كنتُ فاقد الأمل بشكل ميؤوس منه،و أنظرُ إلى الباب ببرود. هنا انتبهتُ وقلتُ لنفسي بعدما أدركتُ أمراً:

(هذا ليس وقت مجيء من يسجنني هنا، هناك شخص يحاول فتح الباب). وقفتُ بسرعة كبيرة، واتجهتُ إلى جانب الباب، رسمتُ خطة سريعة في

بالي، انتظرتُ قليلاً حتى يفتح الباب، تيقنتُ أنَّ الشخص الذي خلف الباب يريد الدخول إلى هذا المكان بأي ثمن، انفرجت أساريري، لحظة النجاة شعور لا يضاهيه أي شعور، وأنا الآن أعيش هذا الشعور بكل أحاسيسي التي كانت موْءُودة منذ أيام.

استمرت محاولات مَن كان خلف الباب لدقائق طويلة، يبدو أنّه مقفول بإحكام شديد، إلا أنه في النهاية فتح الباب، وراحَ النور الذي كنتُ أراه دائماً يتسلل من الفتحة الصغيرة يأتي من جميع جهات هذا الباب، ليدخل الغرفة بعدها شخص وجهه نصف مغطى وكنتُ وقتها خلف الباب.

ما هي إلا ثوانٍ حتى انقضضتُ عليه بكل قوتي من الخلف، ووضعتُ يدي خلف عنقه من ثمَّ شددتها بكل قوة، راحَ ذلك الرجل يحاول التخلص من قبضتي التي شددتها عليه، وبعد شدّ وجذب كانت الغلبة لي، بسبب رغبتي الكبيرة في النجاة ممّا كنت به من سجن طويل.

وبدأ ذلك الرجل بالتحدث وهو يلهث:

- دعني ارحل بهدوء، لن أقوم بأذيّتك.

هذا الصوت ليس بغريب عليّ، وأيضا رائحة السجائر التي أشمُّها هي نفسها.

لحظة، هل من المعقول أنَّ حدسي صحيح؟، ثم قلتُ بغرابة مستفسراً:

- من؟ أبو سالم؟

رانَ الصمت لثوانٍ، ثمَّ شعرت أنَّ من أطوّقه بذراعي بشدة، لاحتْ على وجهه معالم الاستغراب، ثم قال..

- من أين تعرفني؟. ثم قالَ: ومن أنت؟

وبعد ذلك أرخيتُ قبضتي حول عنقه، ودفعتهُ بكل قوة إلى الأمام، ليلتفتَ نحوي، لتتضح ملامح وجهه، قلتُ بصدمة:

- ما الذي تفعلهُ في هذا المكان؟، هل أنتَ من كنت تحبسني طوال تلك المدة؟

وقفَ ينظر إليّ بعدم تصديق، وقال:

- مَن؟ سلمان!.. هل أنتَ سلمان الذي يسكن شارعنا؟..

قلت له بعد أن ابتلعتُ الصدمة:

- نعم، أنا هو بعينه.

قال لي مستفسراَ:

- ما الذي حصل لك؟ ولماذا أنتَ بهذا الحال؟، لقد تغيرتْ حالك بشكل كبير، لا تعلم ما الذي حدث طوال الفترة الماضية، فالجميع يبحثون عنك..

قلتُ له محاولاً استيعاب جملته:

- مَن الذي يبحث عني..

قال لي وهو يمد يده على عنقه:

- الشرطة يا رجل، غيابكَ طوال هذه الفترة أثار العديد من التساؤلات، حتى إنَّ الشرطة استجوبت أغلب من يسكن في الشارع، وطبعاً أنا منهم، ظنّوا أنه قد حصلَ لك مكروهٌ، لكن الأقاويل تؤكد أنكَ هارب.

قلتُ له متفاجئاً:

- الشرطة تبحث عني؟

قال لي:

- نعم، هناك العديد من البلاغات التي قدّمت ضدك، بناءً على العديد من الشكاوى لأنكَ مديون لبعض الناس، وقد أصابَ أهلكَ القلق عليك. وتقول الشائعات إنكَ مختفٍ في مكان ما خوفاً ممَّن يلاحقونك مالياً، مما جعلكَ تتوارى عن الأنظار.

بقيتُ صامتاً أمضغ تلك الصدمة الجديدة غير المتوقعة، ثم بعد ثوانٍ تذكرتُ سؤالاً هامّاً وقلت:

- ما الذي تفعلهُ في هذا المكان؟

قال لي أبو سالم بارتباك:

- مثل الذي تفعلهُ أنت؟

بقينا نحن الاثنان صامتين ننظر إلى بعضنا البعض، لكنَّ أبا سالم قال لي مباغتاً:

- هل كنتَ تختبئ بالفعل من الناس في هذا المكان؟

أخذتُ نفساً عميقاً وقلتُ:

- اترك اللف والدوران وراءكَ، ودعنا نتحدث بصراحة، هل كنتَ هنا لسرقة هذا المنزل؟

قال لي بثقة وتماسك:

- الآن فهمتُ القصة، أنت هنا بهدف السرقة، لكن حدثَ شيء قلبَ الطاولة عليك.

هززتُ رأسي وابتسمتُ وحيّيته على فطنتهِ، وقلتُ:

- يبدو أنّكَ تقرأ الأحداث بشكل ذكي، وأحييك على هذه النباهة، بالفعل فعلتي المشينة تلك هي ما أوقعتني في الفخ، وجعلت الصياد فريسة.

قال لي: ماذا تعني بكلامك؟

حكيتُ له ما حدث لي منذ البداية، وكيفَ حُبستُ في هذه الغرفة كل هذه المدة الطويلة، وهذا هوَ السبب الرئيسي وراء تغيّر حالي كله،فالتفكير الغبي هو ما دفعني للوصول إلى هذا المكان.

حالة الاستغراب والصدمة هي ما لاحت على وجه ذلك الرجل، وبعدها سألته:

- هل وجدتَ ما كنتَ تبحث عنه؟

قال لي بيأس:

- للأسف الشديد لم أجد أيَّاً من تلك الأموال، ولا أنكر أنني كنتُ أخطط لهذه العملية منذ سنوات، خاصة بعد الشائعات التي أحيطت بهذا البيت، وعلى ما يبدو أننا كنا نفكر بنفس الطريقة طوال هذه الفترة، ولكنك سبقتني إلى التنفيذ.

في هذه الأثناء أدركتُ أنني بحال أفضل كون الباب مفتوحاً، بعد أن التفتُّ ناحيته وتقدمتُ بعض الخطوات،إلا أنَّ أبا سالم قال لي محذراً:

- لن تتحرك من مكانكَ هذا حتى نجد حلاً توافقياً.

قلتُ مستفسراً:

- ماذا تقصد بحلّ توافقي؟

قال بعد أن تقدَّم نحو الباب محاولاً سدَّه بجسده:

- خروجك من هذا المكان يعني أنكَ ستخبر الشرطة في حال ألقتْ القبض عليك، وستقول لهم أين كنتَ تختبئ طوال هذه الفترة، ومَن الذي أنقذكَ، وطبعاً ستذكر اسمي.

ثم صمتَ ونظر إليَّ بحدة , وأكمل حديثه:

- وهذا لن يحدث أبداً، خروجك من هذا المكان يعني أنني سأسجن بتهمة محاولة السرقة.

قلت له بغضب شديد:

- هل تريد أن أبقى هنا؟ هذا لن يحدث أبداً، لم أصدق أنني رأيتُ هذا الباب مفتوحاً، أنتَ لن تشعر بي أبداً، ولا بالحالة التي مررتُ بها طوال تلك الفترة.

قال بإصرار:

- خروجكَ من هذا المكان لن يتمّ إلا على جثّتي.

هنا فهمتُ أنَّ هذا الرجل ينوي قتلي، ولمحتُ ذلك الإصرار من عينيه اللتين يتطاير منهما الشر، وقبل أن أنهي تفكيري فوجئتُ بهجومه المباغت لي، لأسقط بعدها على الأرض. ولم أجد إلا يديه تضغطان على عنقي، هذا المجنون الآخر يحاول خنقي، ويردد قائلاً:

- ستموت لا محالة، لن تخرج من هذا المكان إلا جثة هامدة.

كنتُ أقاوم بشدة، لكنَّ هذا الملعون كان أكثر قوة مني هذه المرة، قبل قليل كانت الغلبة لي لأنني راغبٌ في النجاة بينما هو لا، والآن انقلبت الأدوار فهو يعلم أنَّ خروجي من هنا يعني فقدان حريته. الرغبة في البقاء وإنقاذ الحياة هي ما تمنحُ المرء قوة غير متناهية.

وبعد شد وجذب وتنازع شديد بيننا، سقط أبو سالم بجانبي، صدمتُ من سقوطه المفاجئ، كون الغلبة كانت له بنسبة كبيرة، كنتُ أنظر إليه، لقد كان غائباً عن الوعي.

وما أن سقط أبو سالم حتى ظهرَ ذلك الوجه أمامي، كان صاحبهُ ينظر إليَّ ببرود وبعينين شاخصتين، ملامح وجهه مرعبة وغير واضحة، لا أعلم من هو؟ ولا كيفَ أتى إلى هذا المكان بهذه السرعة. تملكني الخوف من ناحية، وبقيتُ أنظرُ إليه بذهول!، هل الذي أمامي إنسيٌّ أم كائنٌ من عالم آخر؟، وما أن انتهيتُ من تفكيري حتى هوى ذلك المجنون بما يمسكهُ بيده على رأسي.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون E-BOOK

6

استيقظتُ من إغماءتي، لكن هذه المرة بشكل مختلف، وبوضع لم أتصور في يوم من الأيام أنني سأرى نفسي فيه، كنتُ مكبَّلَ اليدين والقدمين من جميع الاتجاهات، وفمي مغلق بشريط لاصق، الوضع في هذه الغرفة مختلف عن تلك التي كنتُ فيها الفترة الماضية، ويبدو أنني ممدد على سرير نظراً للمرونة التي أشعر بها تحت جسدي.

لا أرى أيَّ شيء في الوقت الحالي أمامي، وأجد صعوبة كبيرة في التحرك نظراً للوضع الذي أنا فيه. وبعد محاولات عديدة للتملص والتحرك المستمر اصطدمَ جسدي بجسد آخر كان أيضاً ممدداً إلى جانبي. كنتُ أركز النظر عليه، اقتربتُ منه وأنا أزحف بجسدي حتى استطعتُ الدنوّ منه.

عرفتُ جسد مَن هذا، إنّه أبو سالم الذي كان معي منذ.. لحظة، لا أدري كم مرَّ من الوقت حتى استيقظتُ ووجدتُ نفسي هنا. أرى أنَّ الأمر يحتاج إلى تفكير طويل، كون الزمن قد توقفَ عندي. بدأتُ أنادي أبا سالم بصوت متقطع من خلف ذلك الشريط اللاصق، وكنتُ أعلم أيضاً أنَّ صوتي لم يكن واضحاً له. بدأتُ بدفعه برأسي محاولاً إيقاظهُ، ومحاولاتي جميعها باءت بالفشل، لا أدري: هل هذا الرجل مغمىً عليه كما كانت حالتي، أم أنّهُ ميت؟.

هنا غيرتُ نمط تفكيري، وقررتُ أن أتحرك بنفس الطريقة وأن أهبط من فوق هذا السرير الإسفنجي إلى الأرض؛ لعلي أجد طريقة ما للتخلص من هذه القيود التي كبَّلني بها ذلك العجوز اللعين على ما يبدو، الذي لا أعلم لماذا يتصرف بهذه الطريقة؟، أو على الأقل قد أصل إلى الباب. أعلمُ جيداً أنَّ أمامي مهمة شاقة وطويلة، تحتاجُ مني قوة وإرادة، نظراً للطريقة المحكمة التي قيَّدني بها ذلك المخبول.

وبعد شد وجذب طويلين وزحفٍ متعب على ذلك السرير، استطعتُ أن أسقط من أعلاه إلى الأرض، لم تكن المسافة عالية، لكن كنتُ متعباً نظراً لوضع جسدي الذي كان غير مريح. درتُ بعينيَّ في المكان الذي على ما يبدو أنّه غرفة مجهزة، كنتُ أبحث عن أي شيء يساعدني على فك تلك القيود.

لن أبقى مكتوف اليدين بهذه الطريقة، أنا لستُ من أولئك الذين يفقدون الأمل. لابدَّ من المحاولة حتى الرمق الأخير. مضى من الوقت أكثر من ساعة وأنا أزحفُ على أرضية هذه الغرفة كدودة قزّ عمياء ومصابة، وأبحثُ عن أي شيء يساعدني، وجسدي بسبب الظلام يصطدم بتلك الأشياء المتناثرة، التي لا أعلم ما هي بالضبط؟. كنتُ آخذ قسطاً من الراحة بعد حركة لا تتجاوز الأمتار البسيطة وأعود من جديد إلى الزحف المتعب. هنا ركنتُ ظهري على

الحائط لأستعيد أنفاسي حتى أعودَ من جديد إلى البحث عن الخلاص، بينما جسد أبي سالم مايزال في حالة غيبوبة على ما أظن، ممدداً على السرير هناك.

هنا وقبل أن أتحرك مجدداً، استندتُ برأسي على الحائط الذي خلفي محاولاً أن أدفع جسدي، لكنَّ رأسي اصطدمَ بشيء بارز كان ملتصقاً على الحائط، وشعرتُ بألم نظراً لحركتي السريعة التي جعلت زاوية ذلك الشيء تنغرز في مقدمة رأسي. لعنتُ كل شيء.. الظروف، والوقت، وذلك العجوز، وأبا سالم، بسبب الألم الشديد الذي شعرتُ به، لكن بعد ذلك انتبهتُ إلى ما حولي مجدداً.

قلتُ: لابد من استكشاف ماهيّة هذا الشيء البارز الذي اصطدمَ به رأسي، تقدمتُ ناحيته أحاول كشفهُ، ثم بعد ذلك رحتُ أتحسسه برأسي، نعم أعتقدُ وعلى ما يبدو أنّهُ مفتاح كهرباء، وهذا النوع من مفاتيح الكهرباء يكون بارزاً ومربعَ الشكل، يبقى معلقاً في أغلب الغرف، يعني هناك قوائم حادة له، ويؤكد ذلك تلك الضربة التي تلقّيتُها في رأسي، التي أكَّدت أنّه معلق بإحكام شديد على الحائط.

لاحت في رأسي الفكرة بسرعة كبيرة، وقلتُ: لابدَّ من تنفيذها بأسرع وقت ممكن حتى أستطيع فك قيد يدي على الأقل. نعم كل ما أحتاجهُ بعض القوة والتحمل من أجل رفع جسدي قليلاً على ذلك الحائط، حتى أصل بيديَّ المكبلتين خلف الظهر، وأضع الحبل الذي يقيدني على حافة مفتاح الكهرباء المربع، ثم أحرّكهُ بشكل سريع حتى أستطيع قطعهُ. أعلمُ أنني سأتلم كثيراً، وربما سأجرح نفسي، لكن لابد من التنفيذ والمحاولة.

بدأتُ بالتحرك وبرفع جسدي، كان الوضع صعباً جداً، وجسدي بالكاد أرفعهُ إلى أعلى، لكن كنتُ أقاوم التعب، وأتحدّى كل الآلام التي أشعر بها. فشلتُ في المرة الأولى وسقطت، وبعدها قمتُ مرة أخرى، وأيضاً لم أنجح. الشيء جميل هنا أنَّ مفتاح الكهرباء ليس مرتفعاً كثيراً عن الأرض، وهذا الشيء سيساعدني على الوصول إليه. ونجحتُ في المرة الرابعة، واستطعتُ أن أضع الحبل الذي يكبلني على زاوية ذلك المفتاح مربع الشكل، وبدأتُ في التحرك إلى أعلى ومن ثم النزول السريع. كادت عضلاتي أن تتمزق من الألم، وكنتُ أسحب بكل قوتي، وما هي إلا ثوانٍ حتى بدأ ذلك الحبل المشدود على يديّ يرتخي، هنا فرحتُ كثيراً، ولا أنكر أنني تعرضت إلى جروح عديدة على معصمي، لكن كل ذلك لا يهمّ، مايهمّ أنني استطعتُ الآن التخلص من ذلك الحبل. تنفستُ الصعداء، ومددتُ يدي ناحية الحبال الأخرى على قدميَّ واستطعت فكَّها، ثم بعد ذلك أزلتُ الشريط اللاصق من فوق فمي، ونهضتُ

واقفاً بكل فخر، وبدأتُ بالسير باحثاً عن مفتاح الإنارة داخل الغرفة، ومع التدقيق وجدتهُ، وشغّلتُ مفتاح الإنارة، لتنكشف معالم ذلك المكان اللعين!.

في البداية بدأتُ أنظر إلى معصميَّ ويديَّ اللتين تعرضتا إلى بعض الجروح بسبب ضغط ذلك الحبل، ومن ثم بدأتُ أرى معالم الغرفة التي كانت واضحة أمامي، ورأيت جسد أبي سالم الممدد على السرير، وكان فاقداً للوعي على ما يبدو. تقدمتُ نحوه محاولاً إيقاظهُ، لكنني تذكرتُ أنّ هذا الرجل كاد أن يقتلني في المرة السابقة. دعوني أنا اخلص نفسي من هذا المأزق أولاً، وأعود أدراجي وأبتعد عن هذا البيت البائس، وليواجهْ هو مصيره بنفسه.

وقبل خروجي من الغرفة شدّتني رؤية بعض الأشياء، مثل تلك الصور المعلقة على الحائط، وعلى ما أظن أنّها لذلك الرجل العجوز، وعلى ما يبدو هي تعود إلى أيام شبابه، وهو يضع يده على كتف امرأة وعلى ما أظنّ هيَ زوجته، ولهما صور عديدة بوضعيات مختلفة كثيراً أغلبها كان معلقاً على الحائط. الغرفة أيضاً كانت فيها العديد من الأشياء الأخرى المركونة، كأنها أدواة نجارة على ما يبدو، أو حدادة. لا أدري لمَ يحتفظ هذا الرجل بمثل هذه الأشياء؟ ما لفتَ انتباهي بعض الأشياء المعلقة وعلى ما يبدو فهيَ جلود حيوانات. سرحتُ قليلاً في المكان أفكر عن سبب وجود مثل هذه الأشياء!، في الوقت نفسه طردتُ جميع تلك الأفكار، وبعدها توجهتُ بسرعة كبيرة ناحية الباب للهروب من هذا البيت، وعدم العودة إليه مجدداً.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

سرتُ نحو الباب،بينما كنتُ أتقدم رحتُ أتساءل: لو كان الباب مغلقاً ماذا كنت سأفعل؟، لو تطلّب الأمر سأقفز من تلك النوافذ. مايهمّ هو الخروج من هذا المكان. وما أن وضعتُ يدي على الباب حتى فتحَ، شعرتُ بسعادة كبيرة، وتقدمتُ لأجد نفسي في مكان فسيح، على ما يبدو أنّه الدور الثاني.

المكان الذي أنا فيه يبدو أكثر حيوية من الطابق الأرضي، وتأكدتُ أيضاً أنَّ العجوز أغلب حياته يقضيها في هذا الطابق. التساؤل الذي طرأ على رأسي: لماذا كان يضع قطع الأثاث أمام السلم؟ هنا قلتُ: لعل هذا الرجل يخبّئ كل أمواله في إحدى الغرف التي أراها أمامي، ليُعيد هذا التحليل من جديد فكرة سرقة أموال هذا الرجل.

بدأ صراع الأفكار مع العقل يدور في رأسي من جديد، بين الفرار من هذا البيت وعدم العودة إليه، أو البحث عن أموال ذلك الرجل المعتوه. لكنّي قررتُ الخروج؛ فالسلامة أهم من الأموال، وبينما أنا أسير ناحية الدرج للنزول رأيتُ هناك مرآة معلقة. لم أرَ نفسي منذ مدة طويلة بسبب سجني، هالني المنظر الذي انعكسَ في المرآة! كل شيء فيَّ قد تغير، وجهي الذي كاد أن يتحول إلى جمجمة مغطاة بالشعر بعد أن برزت عظامه وصار شاحباً، وشعري الكثيف الذي نما بشكل غير منظم، وجسدي الذي أصبح أشد نحولاً. رفعتُ يدي لأرى تلك الكدمات والجروح التي سبّبتها تلك الحبال التي كنتُ مكبلاً بها قبل قليل. شعرتُ ببعض الأسى على نفسي، وقلتُ لنفسي: أبعدَ كل هذه المعاناة أخرجُ بلا مكاسب ولا شيء؟!

نعم تراجعتُ عن فكرة الهروب، لابدَّ من مواصلة المحاولة والبحث عن أموال صاحب البيت، لابدَّ أن يدفع ثمن ما حصلَ لي، لن أرأفَ بحال أيّ شخص بعد الآن. مللتُ من الغفران والمسامحة، لم يرحمني أحد طوال الفترة الماضية، كنتُ قارب نجاة للجميع، وعندما وقعتُ غرقتُ لوحدي ولم ينقذني أحد، وحتى إن خرجتُ فالشرطة تبحث عني هناك،على الأقل أخرجُ من هنا بشيء أسدُّ به أفواه بعض الذين يطالبونني بسداد ديوني.

عدتُ أدراجي وتقدمتُ نحو إحدى الغرف الموجودة في المكان، وقبل دخولي شعرتُ أنَّ شخصاً يسير خلفي! الخوف يتملكني الآن وقد تجمدتُ مكاني.. ثم بعد ذلك التفتُّ بهدوء؛ لأرى أمامي قطة صغيرة. هنا تنفستُ الصعداء. أعلمُ جيداً أنَّ هذا العجوز يربي القطط، فهي تتكاثر عند منزله وأغلب مَن في يسكنون الجوار يعرفون هذا الشيء جيداً، وهذه إحدى القطط تتجول في المكان، وكانت هذه القطة تسير وتمسك بأسنانها قطعة لحم. لم أهتم

وواصلتُ تقدمي لأدخل تلك الغرفة التي كنتُ أمنّي نفسي أن أجد فيها أي شيء أفوز به في النهاية دون أن أعود بخفّي حُنين.

فتحتُ باب تلك الغرفة الجديدة، والتي أيضاً كانت مظلمة كما سابقاتها، وما أن دخلتُ حتى شممتُ رائحة كريهة أشبه برائحة اللحم الفاسد. وضعتُ يدي على أنفي من أجل تفادي شمّ تلك الرائحة. بعدها أضأتُ النور لأجدَ تلك المفاجأة الصادمة الجديدة أمامي! هذا المنزل مليء بالمفاجآت غير المتوقعة! لقد رأيتُ عدداً من الجماجم البشرية موضوعة على الطاولة، تراجعتُ إلى الوراء من الخوف الشديد، وتساءلتُ: هل هذه الجماجم حقيقية أم أنّها جماجم مصنّعة؟، سحبتُ نفساً عميقاً وتقدمتُ نحوها.. لا أدري هل ما أراهُ أمامي حقيقي أم..!!، ليست لدي القدرة على التمييز، وإذا كانت مصنوعة فصانعُها شخص محترف نظراً للدقة الشديدة التي جعلتني لا أميّز بينها وبين الجماجم الحقيقية، وكانَ موضوعاً بجانب تلك الجماجم قفازان لونهما بني غامق.

وما جعلني أتأكّد من بشاعة ما أرى ومن أنَّ تلك الجماجم حقيقية هو المشهد الآخر الذي رأيتهُ في هذا المكان: كانت في الأعلى بعض العلب الزجاجية الشفافة الكبيرة، وصدمتُ بما كانت تحتويه تلك العلب!! لم أصدق في البداية ما رأيتُ! وبعد التدقيق في النظر شعرتُ بالرعب الذي انسلَّ إلى جميع أنحاء جسدي، إنّها رؤوس بشرية محفوظة في هذه العلب، ويبدو أنَّ المادة السائلة الموجودة داخل العلب تحافظ على بقائها مدة أكبر، كانت أشكال الرؤوس مرعبة وهي تغوص في سوائل تلك العلب، لم أرَ هذا الشيء في حياتي سوى في الأفلام، واليوم أراه حقيقياً أمام عيني.

ابتلعتُ ريقي، تراجعتُ أحاول التماسك، التفتُّ إلى الجهة الثانية لأصعقَ من جديد لما رأيت! هنا بعض الجلود. ثم تذكرتُ أنني رأيتُ هذا المنظر في الغرفة التي كنتُ مكبلاً بالحبال فيها، هنا اتضحت الأمور بشكل أكبر... هذه الجلود ليست جلود حيوانية كما كنتُ أظن، إنها تبدو جلوداً بشرية. شعرتُ بدوار كبير يجتاح رأسي، ماذا تفعل هذه الأشياء في هذا المكان؟ ومن الذي فعل بأصحابها هذا كله؟.

إنَّ من يسكن هذا المكان إنسانٌ مختل، يقوم بأشياء يشيب منها شعر الرأس. بدأ الفضول يزداد عندي أكثر وأكثر، ورحتُ أدقق نظري في كلّ شيء أراه، لأكتشف المصائب الأخرى: بعضٌ من أجزاء الجسم البشري كانت منتشرة في المكان، وكل شيء بدأت تتضح صورته بشكل كبير، أرى الحقائق تتضح أمامي.. وبينما أعيش لحظات ذهولي، سمعتُ صوت حركة بجانب الثلاجة الموضوعة في الغرفة.

فكرتُ في هذه اللحظة بالهروب، لا أريدُ أن أتورط كثيراَ، يكفي ما رأيتُ هنا، لا أريد أيّة أموال أو ذهب، كل ما أريدهُ النجاة بنفسي، لم أكن أتصور ولو دقيقة واحدة أن أرى كل تلك الأمور العجيبة في هذا البيت. هذا الرجل كان يحبسني طوال تلك الفترة من أجل أن يقتلني. كنتُ أركّز نظري على مصدر الحركة التي حصلت قبل ثوانٍ، ثمَّ خرجت قطة مختلفة عن تلك التي رأيتها في بهو الطابق الثاني، وأيضاً كانت تحمل في فمها قطعة لحم. المكان يعج بالقطط، ودائماً ما أرى الطعام في أفواهها.

أدركتُ هنا شيئاً هاماً: إنَّ هذه القطط تتغذى على لحوم بشرية، يالها من بشاعة لم ترها عيني من قبل، العجوز يغذّي هذه القطط على تلك اللحوم البشرية منذ فترة طويلة. اتّكأتُ على الثلاجة محاولاً من جديد التماسك، شعرتُ أن ريقي جاف جداً، فالمناظر كفيلة بتجفيف الدماء في عروقي، وشعرتُ بحاجتي الشديدة لشرب الماء، ثم تذكرتُ أنني بجانب ثلاجة. فتحتُ بابها، توقعت وجود أي مشروب داخلها أتقوّى به على تعبي النفسي.المكان محفوف بالمفاجآت الصادمة!، الثلاجة هي الأخرى تخبئ أشياء جديدة بشعة، المنظر الذي أمامي أكثر دموية، هناك بعض الأكفّ المقطعة والأصابع المبتورة، وجلود بشرية، وأجزاء من الجسم البشري!! أغلقت بابُ الثلاجة بكل قوتي من هول ما رأيت، ثم بعد ذلك تقيّأتُ كل ما في معدتي، وسقطتُ على الأرض أحاول التماسك وإعادة ترتيب نفسي من الداخل، تلك النفس التي تبعثرت في هذا المكان.

في الحقيقة إنني في مكان أشبه بغرفة تشريح الجثث، هذا الرجل المخبول على ما يبدو بارع في تقطيع الجثث، وفي تجميدها. تساءلت مرة أخرى: لماذا هذا العجوز يقوم بهذه الأفعال المشينة؟ ولماذا يقطّع كل هذه الجثث ومن ثم يحتفظ بها بهذه الطريقة؟ لماذا لا يتخلص منها بسرعة كبيرة حتى لا تكون دليلاً بيّناً على جرائمه؟، ومن أين يأتي بضحاياه؟، وكيف يستطيع الابتعاد عن الشبهات رغم جرائمه العديدة؟، ياله من عجوز ماكر!.

نهضتُ من مكاني بجانب الثلاجة بثقل وبعدم توازن بسبب تلك المناظر، وقلتُ لنفسي: يكفي ما رأيتُ في هذا المكان، لابد من الهروب والعودة إلى منزلي، السجن أهون عليَّ من البقاء في هذا البيت الممتلئ بالجثث المقطعة. يكفي، لا أريد أن أرى شيئاً جديداً يصدمني،المناظر التي شاهدتُها كفيلة بدخولي إلى مشفى الطب النفسي لعدة سنوات، لا أدري كيف سأعيش ما تبقى من الحياة بعد كل هذه الأهوال؟. سرتُ مسرعاً أريد الخروج من الغرفة، وما أن وصلتُ إلى الباب حتى سمعتُ تلك الأصوات التي كانت قادمة من الغرفة التي كانت بجوار هذه الغرفة. لا أدري كيف سُمعتْ فجأة؟!.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

8

كان الصوت أشبه بالموسيقى الكلاسيكية الهادئة، تلك الأنغام لا تتناسب لا من قريب أو بعيد بما يوجد في هذا المنزل، والمشكلة أنَّ ما أسمعهُ حقيقي وليسَ هلوسات. دققتُ سمعي جيداً بعد أن خرجتُ من تلك الغرفة، وتقدمتُ أسير ناحية ذلك الصوت بخطوات بطيئة وبحذر شديد، أريدُ معرفة من الذي لديه هذا الإحساس الجميل وسط كل هذه البشاعة؟

الصوت قادم من تلك الغرفة التي تقعُ في آخر هذا الطابق، ويبدو أنَّها ليست مغلقة بإحكام شديد. كنتُ أسير على أطراف أصابعي لا أريد أن أثير أيّة جلبة، وما أن وصلتُ إلى الباب حتى فاحت رائحة البخور الجميلة، على عكس الروائح الأخرى التي شممتُها منذ دخولي إلى هذا المكان. بدأتُ أفكر وأتساءل: لماذا هذه الغرفة مختلفة عن كل الغرف الأخرى؟، هنا قلتُ: لابد من الإطلاع على ما يحدث هنا.

وقفتُ وراء بابها بثبات، كتمتُ أنفاسي بشدة، ثم بدأتُ أمدُّ رأسي ببطء شديد، حتى رأيتُ ذلك العجوز الذي يرتدي تلك النظارة السميكة، وعينيه اللامعتين، كانَ يحتضن امرأة ويرقص معها، نعم أظن أنّها امرأة: شعرها الطويل الذي ينسدل على ظهرها، وفستانها الأحمر الذي تنتشر عليه الورود من كل جانب، يؤكدان أنَّ هذا العجوز يرقص مع امرأة. لكنَّ السؤال: مَن هذه المرأة؟ كل شيء هنا يثير التساؤلات، والمشكلة... لا إجابات!.

أغلبُ المعلومات التي أملكها تؤكد أنَّ هذا العجوز يسكن لوحده، وزوجته مفقودة منذ عشرات السنين وليس لديه أيّ أولاد. أكاد أجنّ! هذا البيت يحمل في خباياه العديد من الأسرار والأمور غير المتوقعة.

دققتُ نظري كثيراً، أودّ معرفة مَن هذه الفتاة أو المرأة التي يراقصها؟، لكن للأسف كنتُ طوال الوقت أراها من جهة ظهرها. لحظة، هناك أمر غريب جداً، للتو لاحظتهُ!. هذه المرأة ليس لديها أقدام!، بالفعل هذا ما رأيت، كيف يرقص هذا الرجل مع امرأة بلا أقدام؟. فستانها الذي ترتديه ليس طويلاً كثيراً، وهو ما جعلني أكتشف ذلك السر. الأمر الآخر الذي جعلني أفتحُ فمي على مصراعيه هو أنَّ العجوز يحمل هذه المرأة حملاً، كأنّها دمية صغيرة يحركها كما يشاء! رأسي يكاد ينفجر، كيف يحدثُ ذلك هنا؟، أيَّة مفاجآت تخبّئها أيها العجوز اللعين؟

بقيتُ واقفاً عند الباب دقائق، صوت أنغام الموسيقى يصدح في المكان، وأبو نورة مندمج مع ذلك الشيء يرقص بكل تركيزه. وبينما أنا كذلك مرَّت بجانبي بسرعة كبيرة إحدى القطط التي تسكن مع هذا العجوز، مما أثار الفزع في

قلبي؛ فصرختُ من دون أي وعي، فأنا كنتُ كقنبلة رعب موقوتة تنفجر من أيّة حركة، وذلك الصوت الذي خرج مني جعلَ العجوز ينتبه إلى وجودي. بالفعل أنا في ورطة لا أحسد عليها.

بقينا صامتيْن لثوانٍ ننظر إلى بعضنا البعض. من هول الصدمة تجمدتْ جميع أطرافي، حتى إنني لم أستطع الهروب. بينما العجوز هو الآخر لاحتْ على وجهه ملامح المفاجأة!، ثم بعد ذلك ألقى تلك الفتاة من يديه والتي سقطت على الأرض من دون حراك، وهذا المشهد زاد رعبي أكثر وأكثر، كون من يرقص معها هذا المختل ليست إلا دمية على ما يبدو، لا لا ليست دمية إنّها جثة، فملامح الوجه كانت شاحبة جداً، والجلد مزرقّ اللون جامد، والأعين تكاد تكون مخفية.

هالني هذا المنظر كثيراً!، جعلني أعيش حالة من الرعب الذي شعرتُ معهُ أنَّ هناك قنبلة من الهلع قد انفجرت في جسدي كله. تقدَّم العجوز بحركة سريعة ومرنة ناحيتي، ثم قال بصوته الأجش وبغضب شديد:

- كيف استطعت فكّ قيودك أيها المتطفل الوقح؟

تراجعتُ إلى الخلف بارتباك، كنتُ أحاول الهروب وقتها، لأنني أعرف أنني إذا وقعت في يد هذا العجوز مرة أخرى، فلن يتركني إلا جثة يعبثُ بها كما الجثث التي رأيتها في تلك الغرفة.و بينما كنتُ أتراجع بخوف وبارتباك اصطدمَ جسمي بحواف الباب الذي كانت خلفي، لأنَّ حركتي كانت سريعة، وهو الأمر الذي جعلني أصطدم بالباب، لأسقط بعدها على الأرض داخل الغرفة.

الموجودة داخل العلب تحافظ على بقائها مدة أكبر، كانت أشكال الرؤوس مرعبة وهي تغوص في سوائل تلك العلب، لم أرَ هذا الشيء في حياتي سوى في الأفلام، واليوم أراه حقيقياً أمام عيني.

ابتلعتُ ريقي، تراجعتُ أحاول التماسك، التفتُّ إلى الجهة الثانية لأصعقَ من جديد لما رأيت! هنا بعض الجلود. ثم تذكرتُ أنني رأيتُ هذا المنظر في الغرفة التي كنتُ مكبلاً بالحبال فيها، هنا اتضحت الأمور بشكل أكبر... هذه الجلود ليست جلود حيوانية كما كنتُ أظن، إنها تبدو جلوداً بشرية. شعرتُ بدوار كبير يجتاح رأسي، ماذا تفعل هذه الأشياء في هذا المكان؟ ومن الذي فعل بأصحابها هذا كله؟. أدركتُ هنا شيئاً هاماً: إنَّ هذه القطط تتغذى على لحوم بشرية، يالها من بشاعة لم ترها عيني من قبل، العجوز يغذّي هذه القطط على تلك اللحوم البشرية منذ فترة طويلة. اتّكأتُ على الثلاجة محاولاً من جديد التماسك، شعرتُ أن ريقي جاف جداً، فالمناظر كفيلة بتجفيف الدماء في عروقي، وشعرتُ بحاجتي الشديدة لشرب الماء، ثم تذكرتُ أنني بجانب ثلاجة. فتحتُ بابها، توقعت وجود أي مشروب داخلها أتقوّى به على تعبي

النفسي.المكان محفوف بالمفاجآت الصادمة!، الثلاجة هي الأخرى تخبئ أشياء جديدة بشعة، المنظر الذي أمامي أكثر دموية، هناك بعض الأكفّ المقطعة والأصابع المبتورة، وجلود بشرية، وأجزاء من الجسم البشري!! أغلقت بابُ الثلاجة بكل قوتي من هول ما رأيت، ثم بعد ذلك تقيّأتُ كل ما في معدتي، وسقطتُ على الأرض أحاول التماسك وإعادة ترتيب نفسي من الداخل، تلك النفس التي تبعثرت في هذا المكان. وما أن سقطتُّ (وكنتُ وقتها أتألم كثيراً إثرَ هذا السقوط) حتى رأيتُ جسد أبي نورة المجنون يهوي عليّ بكل قوته، ومن ثمَّ راح يضع يديه فوقَ يديَّ محاولاً تثبيتي بكل قوته. دفعتهُ بكل قوتي بقدمي، ليسقط بجانبي. من شدة الارتباك الذي كنتُ أعيشه لم أركض ناحية الباب، بل توجهتُ إلى داخل الغرفة، حتى توقفتُ في زاوية منها وأنا ألهثُ من التعب والخوف. كانت المشاهد هنا أوضح مما كانت عليه في الخارج: جسد هذه المرأة ملقى على الأرض بلا ملاح تثبت أنَّ هذا الشيء جثة، إضافة إلى أنَّ جسدها كان نحيلاً بشكل مفرط، ولا يبرز منها سوى ذلك الوجه المخيف والذابل ناتئ العظام، ولها ذلك الشعر الطويل بشكل عشوائي، والفستان الأحمر الذي لا يبدو أنّهُ يناسب مقاس جسدها.

ركض ذلك العجوز ناحيتي، لا أعرف كيف يملك كل هذه المرونة والسرعة؟!، مناورات عديدة حصلت بيننا، وكرّ وفرّ، ولا أدري لماذا كنتُ خائفاً منه؟، رغم أنني أفوقهُ شباباً وحيوية، إلا أنّهُ استطاع من خلال الرعب النفسي الذي بثّه في روحي أن يسيطر على الموقف بكل جدارة. أمسكتُ بشيء لم أكن أعرف ماهيّته، ولكن كان يشبهُ المقبض الحديدي كان مركوناً في أحد زوايا الغرفة، وجعلتهُ سلاحي في هذا الوقت، كنتُ أهدد به العجوز وأحذرهُ من التقدم ناحيتي.

لم يهتم هذا الوقح بكل تهديداتي، وكان يتقدم بكل بجرأة ناحيتي، وهذا التهور جعلني أتمكن من إصابته في رأسه بضربة من المقبض، ليسقط بعدها والدماء تسيل من رأسه. كنتُ مذهولاً في البداية مما فعلت، وذلك الحقير يضع يده على رأسه ويشاهد ذلك الدم الذي يفور منه. كانت عيناه تكادان تنفجران من الغضب. لم أتوقع في يوم من الأيام أن أشاهد هذا العجوز بهذه الوحشية! كنتُ أراه في السابق مسكيناً وديعاً، وأعطف عليه، لكنني لا أعلم أنَّ خلف هذا الجسد النحيل، والعيون المسكينة وحشٌ ينهش كل من يقترب منه. هنا انتبهتُ كثيراً، وشعرتُ أن الفرصة أصبحت سانحة للهروب بعدما وجدتُ الباب خلفي مفتوحاً، والعجوز منشغل بذلك الجرح.

لم ألتفت ورائي، ورحتُ أركض بكل ما أوتيتُ من قوة ناحية ذلك السلم، أحاول الوصول إلى تلك النافذة التي دخلتُ منها في بداية كل هذه الأحداث السيئة. وما أن وصلتُ إلى بداية السلم حتى تذكرتُ شيئاً.. لقد تذكرتُ أبا

سالم الذي تركتهُ مكبلاً في الغرفة التي كنتُ معه فيها. فكرتُ قليلاً: هل أعود لأنقذهُ من منزل هذا الوحش؟، فلو بقيَ فسيموت لا محالة، لأنَّ من يسكن هذا المكان رجل مختل عقلياً وليس لديه ذرة تفكير، وفرصة موت أبي سالم ستكون كبيرة.

لم أكترث كثيراً لصوت ضميري الذي صحا في هذه اللحظة، ومضيتُ نحو ذلك المكان الذي أدخلني إلى هذا البيت. وثبتُ من أعلى النافذة، لأجد نفسي بجانب السور لأعتليه بكل قوتي، ثم أقفز إلى الخارج. وفي الوقت نفسه كنتُ أشاهد تلك القطط التي تتوسد مداخل البيت ونوافذه، أتذكّر أنَّ هذه القطط كانت طوال الوقت تتغذى على لحم بشري، بقايا الجثث التي يقوم هذا العجوز بقتل أصحابها.

طردتُ كل تلك الأفكار من رأسي، وسرتُ نحو بيتي متخلصاً من كل تلك الأهوال. عندما تترك خلفكَ الألم لا تلتفت إليه؛ لأنكَ إذا التفتَّ فستعلق مرة أخرى به، هذا كل ما أفكر به الآن: الراحة وصفاء الذهن.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

9

إنهاك جسدي ونفسي ما أعاني منه الآن، أسير في شارعنا الهادئ في هذا الوقت رغم أنّ الوقت لم يكن متأخراً كثيراً، إلا أنَّ الهدوء كان السمة التي لم تتغير لهذا الحي الصغير، ألتفتُ يميناً وشمالاً، الخوف أيضاً ما يزال يتملكني، فأنا الآن مطلوب من وجهة نظر العدالة، وهارب في نظر القانون.

حال بيتي لم يتغير كثيراً، لكنَّ الغبار التصقَ بأغلب حيطانه. المكان شبه مظلم، دخلتُ بهدوء إلى منزلي، وألقيتُ بجسدي المجروح والمتعب على الكرسي الأسفنجي العريض وسط الصالة، وبقيتُ جالساً أنظر إلى السقف، أفكر بما مضى من أحداث وأسألُ نفسي السؤال الوحيد الذي لم يفارق ذهني: هل كل ما حدث في الأيام الماضية واقع؟ هل كل تلك المشاهد التي رأيتُها في بيت ذلك المدعو أبي نورة حقيقية؟، الجثث والغرائب، وأستغرب كيف ساعدتني الأقدار على الإفلات من هذا كله؟!

ولا أنكرُ أنَّ ضميري مايزال يسلط عليَّ سيوفه، بسبب تركي للجار أبي سالم مع ذلك الوحش المختل. كل شيء كان يظهر أمامي بوضوح، كنتُ أعتقد أنه بمجرد وصولي إلى منزلي سأرتاح من كل هذا التعب، ولم أكن أعلم أنَّ ما ينتظرني في بيتي شيء اسمهُ: جلد الذات. مَن على شاكلتي من الناس يتفننون في إيذاء أنفسهم، رغم أنَّ الناس إذا سنحت لهم فرصة لإيذائنا فلن يرحمونا.

انتبهتُ إلى الصورة المعلقة وسط صالة منزلي، كانت الصورة لي ولزوجتي وأبنائي، كم أشتاقُ إليهم!، أودّ أن أحتضنهم، وأتمنى أن أراهم الآن أمام عيني، وأقبّلهم وأدقق النظر في وجوههم، كم سيساعدني هذا الأمر على تجاوز تلك الأهوال التي رأيتها!، لكن ماذا أفعل؟، ماتزال هناك تعقيدات لا أعرف حتى الآن كيف أتجاوزها؟

نزعتُ جميع ملابسي التي كنتُ أرتديها منذ أكثر من ثلاثة شهور ورميتُها في سلة القمامة، لأنّها كانت تحمل العديد من الذكريات السيئة، وأخذتُ حماماً ساخناً أردتُ من خلاله إزالة جميع تلك الأوساخ التي التصقت بي طوال الفترة التي كنتُ خلالها في منزل ذلك العجوز. الماء المتصبب من فوقي كان يزيل بعض الأفكار والذكريات بشكل مؤقت، بينما ذهني مايزال مشدوهاً، أفكّر: هل أقوم بإبلاغ الشرطة؟ وفي الوقت نفسه أعلمُ جيداً أنني لو أبلغتُ عن العجوز فسأسجن كوني اقتحمتُ منزله دون وجه حق وبنيّة السرقة، ناهيكَ عن أنني أيضاً مطالب من العديد من الشركات لسداد ديوني، ولربما أيضاً سأسجن لهذا السبب.

خرجتُ من الحمام بعد الاستحمام، شعرتُ أنني أخفّ وزناً ممّا كنتُ عليه قبل قليل، وطردتُ كل الأفكار التي في رأسي. أريد راحة ذهنية بعد الضغط الهائل الذي تعرَّض له ذهني وفكري. كل ما أفكر به الآن هو النوم، ما أجمل أن تنام على سريرك الخاص دون خوف وتتلحَّف الأمان، وغداً سأنظر في الموضوع بشكل أفضل.

الأمان في بيتي لم يستمر طويلاً، استيقظتُ على صوت جلبة، فتحتُ نصف عيني غير مدرك لما يحدث، وتوقعتُ أنني ما أزال أعاني من رهَّاب بيت المختل أبي نورة، وقلتُ لنفسي: إنني الآن في منزلي والخطر قد زال، ولا شيء هنا يهددني في هذا المكان. كنتُ أغوص في فراشي بشكل عميق، لا أفكر بأيّ شيء سوى بالراحة.

كنتُ بين نائمٍ وواعٍ، فتحتُ عيني لأجد ذلك الشيء الذي لم أتوقعه أبداً يقف فوق رأسي. شخصٍ يشبه المسخ! بعد ثوانٍ أدركتُ أنَّ ما أراه شيء يفوق الخيال والواقع، شيء كأنّه يريد التهامي.. فزعتُ ونهضتُ بشكل سريع ومباشر، ثم تذكرتُ أنني رأيت هذا الوجه قبل يومين في بيت العجوز.

لحظة، إنه أبو نورة بنفسه، تذكرتُ ذلك القناع الذي ارتداهُ عندما ظهرَ أمامنا أنا وأبو سالم، وبعدها قام بضربنا ثم حبسنا في تلك الغرفة. لم أطلْ التفكير كثيراً، فقد أخرجَ هذا المعتوه شيئاً من وراء ظهره، ثم قام برشّه على وجهي. لم أستيقظ إلا وأنا مكبّل بشكل أشدّ من المرة الفائتة أو مصلوب بمعنى أدقّ، لكن هذه المرة كنتُ في الغرفة التي شاهدتُ فيها هذا العجوز يرقص مع تلك الدمية أو الجثة. ورأيت أمامي العديد من المناظر في الغرفة من رؤوس، جثث، وجلود، وأشياء لم أعرف ما هي بالضبط؟، لقد التفتُّ إلى الماضي، وهنا أنا الآن أقعُ فيه من جديد.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

10

ألقيتُ برأسي على صدري من شدة التعب، والوقوف لفترة طويلة بهذه الطريقة التي كنتُ مكبّلاً فيها بالحبال كأنّي مصلوب على طريقة العصور الوسطى، وأستعدّ للموت. لم أكن أعلمُ أنَّ هذا المعتوه لديه كل هذه المواهب والقدرة والجرأة على الإجرام، لقد لحقَ بي إلى منزلي واقتحمهُ بطريقة ما، ثم استطاع الوصول إليّ، والسيطرة عليَّ بتلك الطريقة برشّ مادة غريبة على وجهي أفقدتني وعيي بشكل كامل، وبعدها أخذني إلى منزله. أعتقد أنَّ هذا المعتوه سيكمل حفلتهُ بقتلي بطريقة ما، ومن ثم التمثيل بجثتي، وبعدها سيلقي ببقايا اللحم لتلك القطط. هذا كل ما أتصوره الآن. وسبب ملاحقته لي هو منعي من الإبلاغ عنه. هذا الأمر لا يحتاج إلى تفكير، وهذا الشيء لن يغفل عنهُ هذا الرجل العجوز الخبيث.

الغرفة هي نفسها التي شاهدتُ فيها أبا نورة وهو يرقص مع الجثة. ما أثار دهشتي أنّها مليئة أيضاً بتلك الجثث، بجلود، ببقايا أجسام بشرية، شعر على شكل "باروكة " مكوم على الطاولة، عظام.. لكنّي لم أكتشف: هل هي بشرية أم أنّها غير ذلك؟، لكنني كنت أعتقد أنَّ ما أراه هنا يعود إلى أشلاء بشر. الرائحة لم تكن سيئة في هذه الغرفة، فماتزال روائح البخور عالقة بكل زواياها، رغم أنَّ المكان مليء بالأوساخ وغير منظم بتاتاً، وكل شيء كان مبعثراً.

كان حلقي جافاً جداً، وعينايَ ذابلتين وكنتُ متعباً بشكل كبير. رميتُ بكل حمل جسدي على تلك القيود الحديدية التي تكبّلني، فلو تركتها لسقطتُ على وجهي من الإنهاك. لا أعلم ما الذي فعلهُ بي أبو نورة طوال تلك الفترة، ولا أعلم كم هي المدة التي قضيتُها على هذا الحال!، ولماذا هذا المخبول لم يقتلني حتى الآن؟، رغم أنَّ الفرصة ماتزال سانحة أمامه.

مرَّ نصف اليوم على ما أعتقد ولم أرَ أي شخص في هذا المكان، كنتُ أتوقع أنني سأموت من العطش والجوع الذيْن أعاني منهما الآن، ولا أنكرُ أنني كنت مستسلماً تماماً، ولا أفكر حتى بأية طريقة للخلاص من الوضع الذي أنا فيه الآن. كنتُ مستعداً للموت بكل هدوء. بعد ثوانٍ سمعتُ تلك الخطوات، نظرتُ إلى الباب أريد مشاهدة مَن القادم؟، لكن كما هي العادة القطط هي أول من ترحب بكَ هنا، دخلت قطتان إلى الغرفة تسيران بهدوء، وكانتا تموءان، وبعدها خرجَ جسد العجوز من الظلام.

كان أبو نورة نحيل الجسد، يلبس كعادته تلك النظارة السوداء السميكة غريبة الشكل، وكان يغطي يديه بقفازين بلون بني، ويحمل صحناً متوسط الحجم، وعلى ما يبدو أنَّه طعامٌ للقطط التي تموء. وقد وضعَ صدره ملاءة كتلكَ التي

يلبسها الجزارون للحماية من الأوساخ أو الدماء، وكانت الملاءة ملطخة باللون الأحمر، على ما أعتقد هيَ آثار دماء.

أنزلَ الصحن إلى الأرض، ثم راحت القطط تسير ناحيته وتأكل ما كان به. ولا أدري هل الطعام الذي قدّمهُ للقطط بشري أم طعام عادي؟. تقدَّم نحوي، ثم راح ينظر إليَّ بتلك العينين الغائرتين من وراء تلك النظارة السميكة. كانت هيئته مختلفة عمَّا كنت أراه عليه فيما مضى. عيناهُ مليئتان بالوحشية، لا أعرفُ كيف لإنسان مثله أن يتحكم بنظرات عينيه؟، فأمام الناس يجعلها هادئة طيبة، وفي الحقيقة هما عينان يتطاير منهما الخبث والشر.

مدَّ يده ناحية الجيب وسط الملاءة ليخرج منها سكيناً كبيرة نوعاً ما ولامعة، وتقدّمَ بها ناحيتي، غير مكترث لوضعي المتعب، ونظرَ إلى وجهي بشكل مباشر، ليبتسم ثم قال:

- هل كنتَ تتوقع أن أتركك بهذه السهولة، وأنت تحمل أسرار هذا المنزل؟

لم أجب على أيٍّ من كلماته. بقيتُ صامتاً أنظرُ إلى وجهه ببرود واستسلام، وبعدها قال بهدوء وثقة:

- أنتَ أهدأ ضحية مرَّت عليَّ حتى الآن، أيّ أنواع البشر أنت؟، أعتقد أنكَ تعلم أنّ مصيرك الموت ولا شيء غيره، وتستسلم له رغم معرفتك!.

هنا رفعتُ رأسي بتثاقل، وقلتُ له:

- لم أتصور للحظة واحدة، أنكَ تحمل كل هذا الشر! الناس في الخارج يصفونكَ بالعجوز الوديع، لكنهم لا يعلمون أنكَ إنسان مجنون ومجرم تقتل بدم بارد.

ضحكَ أبو نورة بصوت عال، ثم اقتربَ مني وقال:

- أغلب البشر أغبياء، يصدقون فقط ما تقوله العيون، ويتعاملون مع الناس على أساس أعمارهم لا أفعالهم، وأنتَ أحد الأغبياء الذي صدّق هذه الأشياء.

كنتُ أنظر إليه بحقد وغضب، الخوف الذي كان يتملكني انتهى هذه اللحظة، تمنيت لو أنني أفك تلك الأغلال الثقيلة، وأضربهُ بكل ما أوتيت من قوة في كل مكان من جسده. قطع فترة تفكيري تلك، وقال:

- هل تعلم ماذا كنتُ أتصور بشأن سكان هذا الشارع؟ كنتُ أراهم كالفئران التي تضع لها قطعة جبن في المصيدة، ومن ثم بعد ذلك تصطادها. المسألة جدا بسيطة، كنتُ أنشر الشائعات في الحي وأقول لبعض السذج إنّ لديَّ بعض الأموال والمجوهرات، من خلال تظاهري بالبحث عن أشخاص لحماية

البيت، فكانَ الحمقى يصدقون وينشرون هذا الكلام. البشر ثرثارون كثيراً، ولا يهمهم شيء سوى الثرثرة والتي دائماً ما تجعلهم يقعون في المشاكل.

انتشرت الشائعة بسرعة كبيرة، وأصبح أغلب السكان يفكرون كيف يستطيعون اقتحام منزلي وسرقة كل ما أملك. فأنا أولاً وأخيراً عجوز مسكين ضعيف ووحيد، وسرقة منزلي سهلة جداً. وكان معظم المتسللين يأتون كالفأر الذي يشتمم رائحة الجبن المتمثلة في الأموال، لكنّ المتسلل المسكين لا يعلم أنهُ بمجرد دخوله إلى هنا فسيقع في المصيدة التي لن يستطيع الخروج منها إلا قطعاً بشرية بعضها أحتفظ به لنفسي، والقطع الأخرى تذهب إلى بطون تلك القطط الجميلة.

نظرتُ إليه بذهول!، ورحتُ أردد في سرّي: هذا المعتوه يتكلم، ولا أرى في عينيهِ أي ندم، القتل أصبح عنده هواية ممتعة. ثم أكملَ حديثه وقال:

- أنتَ أحد هؤلاء الفئران الجائعة للمال، التي صدَّقت أنَّ هذا المنزل فيه الكثير من الأموال، وأتيتَ بكل غباء تبحث عنها، لكنك وقعتَ في الفخ. ولا أنكر أنكَ فأر مشاكس ومزعج، استطعتَ الفرار مني أكثر من مرة، وفككتَ قيودك أكثر من مرة، لكنك لم تفلت من قبضتي.

ثم وضع عينهُ في عيني وقال:

- من في هذا الزمن يحتفظ بأمواله في بيته؟، لماذا فكّروا في إنشاء البنوك؟، هل استوعبتَ الآن؟

كنتُ أنظر إلى عينيه بغضب، أتمنى لو كان لديّ أية حيلة أقوم بها. في المقابل كان هو ينظر إليَّ ببرود وقال:

- الداخل إلى هذا البيت مفقود، والخارج منه مولود، وأنتَ الذي حكمت على مصيرك بالموت، الذي لن أتردد ولو للحظة في تنفيذه. لكن أنا هكذا دائماً أتلذذ بتعذيب ضحاياي نفسياً، أشعر بالسعادة عندما أرى الخوف والهلع على وجوههم، لا تعلم مدى النشوة التي أشعر بها عندما ترتسم على وجوهكم هذه التعابير المرتعبة!

صمتَ لحظة، ثم أكمل:

- دقيقة، تذكرتُ شيئاً، هناك أمر أريد أن أريهِ لك.

ثم تركني ورحلَ، ولا أنكر أنَّ أنفاسي بدأت بالتصاعد، وقلبي بدأ ينبض بشدة، هذا المعتوه فنان في إيذائي نفسياً.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

11

كنتُ سارحاً وقتها، أفكر في الشيء الذي سيُريني إيّاه، لا أعتقد أنَّ ما سأراه سيكون ممتعاً، فهذا المنزل كان ممتلئاً بالبشاعة، وعقل الرجل لا تنتج عنه أيّة أشياء جميلة. دقائق وسمعت صوت خطواته، وكانت قططهُ التي تحوم حوله تسبقهُ بالدخول. كان يحمل شيئاً بيده، وذلك الشيء كان مغطى بخرقة سوداء. إنّه ينظر إليّ بابتسامة خبيثة. وصلَ أمامي، ثم ركَّزَ نظرهُ في نظري من وراء تلك النظارة، وبعدها رفعَ تلك الخرقة السوداء من فوق الشيء الذي كان يحملهُ بيده.

صرختُ بأعلى صوتي، لم أستطيع تحمّل ما تراهُ عيني. كانَ هذا المعتوه يحمل رأساً مقطوعاً، سحنة الوجه كنتُ أعرفها جيداً.. لقد تلقيتُ لكمة من الرعب جعلت قلبي ينصعق! لم أرَ رؤوساً بشرية مقطوعة في حياتي إلا من خلال التلفاز أو الأفلام. اليوم أشاهدها أمامي بشكل طبيعي. حاولتُ إغماض عيني، ثم بدأتُ أسبّ وأشتم هذا المعتوه، بينما هو كان في قمة سعادته وفرحه.

صوت قهقهته كانَ يملأ الغرفة، بينما كنتُ أنا أردد تلك الكلمات بخوف:

- أبعدْ ذلك الشيء من أمامي، أيّ قلب تحمله بصدرك؟، يبدو أنكَ تحوّلت إلى وحش حقيقي، هذه أعمال أشخاص بلا عقل.

قطعَ موجة رعبي وثورتي، وقال كعادته ببرود شديد:

- مَن قال لكَ إنّي إنسان يحمل في صدره قلباً، أو أنّهُ لديَّ عقل يتحكم به الضمير. كل ذلك مات، الموت الحقيقي يأتي عندما نفقدُ من نحب، بعدها نموت ببطء، دون أن يعلم أحد بنا.

كانت أنفاسي تتصاعد بشدة، وعقلي يضطرب، أنظرُ إلى ذلك الرأس المحمول، والذي لم أتبيّن هوية صاحبه.. كنتُ أتحاشى النظر إليه. وضعَ الرأس أمام وجهي وقال لي:

- هل تعرف هذا الرأس لمَن؟

لم أفتح عيني، إلا بعد سماع جملته تلك. ركّزت نظري على الوجه، وكانت المفاجأة المدوية!! إنَّ هذا المختل قد قتل أبا سالم وقطع رأسه. شعرتُ بموجة من الألم التي لم أشعر بها طوال حياتي، إنّه يتفنن في تعذيبي نفسياً. لم أستطع تحمّل كل هذه الأمور، ومن دون شعور بدأتُ بالبكاء. ضميري كان أقوى في هذا الوقت، شعرتٌ أنني أنا القاتل أو أنني ساعدته في القتل. تذكرتُ أنّهُ كان بإمكاني إنقاذ أبي سالمِ، لكنَّ أنانيتي كانت أقوى في ذلك

الوقت بعد أن تركتهُ مقيداً ورحلتُ مفكراً فقط بنفسي. استمريتُ في البكاء بينما ذلك العجوز المجنون كان يضحك غير عابئ بكل الآلام التي أشعر بها، حتى صرختُ في وجهه بأعلى صوتي:

- لماذا تقوم بكل هذا؟، ما الفائدة من قتل الناس؟ ما الذي تشعر به وأنت تزهق أرواحهم؟، هل تعاني من مرض نفسي؟

وما أن انتهيتُ من جملتي هذه حتى شعرتُ بأنَّ ملامح وجهه قد تغيرت كثيراً، الغضب راح يتأجج في ملامح وجهه، ثم وجَّه السكين إلى عنقي، وقال بغضب شديد:

- إن سمعتُ كلمة (مريض نفسي)، لن أقتلكَ كباقي الذين قتلوا، بل سأخترع لك طريقة قتل مختلفة، ستموت معي ببطء.

ابتلعتُ ريقي، شعرتُ أن الموت بنفسه هوَ من يحدثني. وأكملَ حديثه قائلاً:

- أبو سالم قبل أن أقتلهُ، عرضَ عليَّ عرضاً جميلاً، فوافقتُ عليه دون تردد. لكن أيضا هو الآخر ساذج؛ لأنّه اتفقَ مع شخص لا يؤمن بالعهود والمواثيق. هل تعلم مَن ساعدني وأصلكَ إلى هنا؟ هل تعتقد أنني وحدي من قمتُ بحملك من منزلك؟ بالطبع هذا أمر مستحيل. لقد ساعدني أبو سالم بسيارته بعد أن تمَّ تنويمك من خلال ذلك الرذاذ الذي رششتهُ على وجهك، وحملكَ أبو سالم على ظهره إلى السيارة، ثم تمَّ نقلكَ إلى هنا. الاتفاق الذي كان بيننا يقضي أن يساعدني على خطفك، في المقابل أعفو أنا عنه، وأتركهُ يرحل.

ابتسمَ وهو ينظر إلى الرأس المقطوع وأكمل:

- هذا الرجل كان يحمل في رأسه عقلاً صغيراً، أنا لا أتركُ أيّة دلائل تُدينني، وأنتما الاثنان شاهدتما كل شيء، ولا بد أن تموتا حتى تموت تلك الدلائل. ألم أقل لكَ إنَّ البشر حمقى؟

لا أعلم، من الممكن أنَّ كلمات هذا المعتوه قد ساعدتني قليلاً على تقليل الإحساس بجلد الذات وتأنيب الضمير، لكن هناك حرقة صغيرة في قلبي لم أستطع تجاوزها. قاطعتُ كلامه وقلت:

- مهما حدثَ، يبقى أبو سالم إنساناً، ولن أغدر به كما غدرتَ به.

ضحك كعادتهِ وقال:

- هذا واضح، لقد تركتهُ ونجوت بنفسك، وتركتهُ مكبلاً في الغرفة تحت رحمتي. الإنسان وقت الضيق لن يفكر إلا بنفسه، وكلاكما فكرتما نفس التفكير، هذه عادة أصيلة فينا نحن البشر جميعاً.

تقدمت بعض القطط الصغيرة ناحية العجوز، توددت إليه كعادتها، وأعتقد أنّها شمّتْ رائحة الدم التي كانت تفوح من رأس أبي سالم. كان عدد القطط خمساً، لكنَّ العجوز لم يكن بحالة تساعدهُ على ملاطفتها، لأنّه كان مشغولاً بالرأس المقطوع وبي، فقام بطرد القطط إبعادها عنه، فركضتْ إحداها، وتوجهت نحو تلك الدمية التي كان يراقصها أبو نورة ليلة البارحة، لتدفعها وتُسقطها على الأرض، وينفصل الرأس عن الجسد.

هنا رأيتُ ملامح العجوز وقد تغيرت، وهرعَ بكل قوته ناحية الدمية أو الجسد. جمع كلَّ أجزائه التي تناثرت، ثم بدأ بالمسح على رأس الدمية، وسمعته يقول بتودد واعتذار:

- سامحيني يا نجلاء، قططي الصغيرة لم تقصد إيذاءكِ، أتمنى ألّا تكوني قد شعرتِ بأيّ ألم،و أعدكِ أنني سأجلب لك شعراً جديداً أفضل من هذا، وفستاناً جديداً غير هذا الذي اتّسخ من الأرضية.

فتحتُ فاه غير مصدق لما يحدث!، بالفعل هذا العجوز مختل، ومصاب باضطراب ي عقله. كيف يتحدث مع دمية ليس لها أيّ حول وقوة؟. بعد ذلك قامَ بنزع الثياب عن جسد تلك الدمية لأتلقّى أنا المفاجأة الجديدة: إنَّ من يراقصه هذا المعتوه لم يكن بدمية بل كانت جثة، نعم جثة!! كان هذا الأمر غير واضح منذ البداية، لكن الآن تبيَّن كل شي، فتفاصيل الجسد قد ظهرت بشكل واضح، منذ أن بدأ بإبعاد تلك الملابس، ولقد رأيتُ ذلك الجلد شبه المشدود على الجسد، والعظام التي تبرز من أعلاه، حتى إنَّ هناك بعض العظام البارزة ناحية القفص الصدري مغطاة بجلد شاحب وجامد.أيّ عقل حمل في رأسك أيها العجوز؟. هنا قلتُ محاولاً استفزازه:

- مَن هذه القبيحة التي تتحدث معها بكل هذا الود؟

وثبَ ناهضاً عن الأرض وتقدَّم نحوي، ثم لطمني على خدي بكل قوته وقال:

- إيَّاك مرة أخرى أن تتجرأ وتتكلم عن زوجتي نجلاء، هذه المرة وجَّهتُ إليكَ لطمة، لكن في المرات الأخرى ستكون هناك طريقة أخرى مؤلمة في التعامل معك.

ابتسمتُ بعد أن شعرتُ أنني استطعتُ أن استفزَّه، ثم قلتُ له:

- أين هي زوجتكَ؟ لماذا لا تتحدث معنا في الوقت الحالي؟، أراها كالصنم أمامي الآن!.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

كان طوال الوقت يحتضن تلك الجثة ويقبّلها، ويحاول تخفيف آلامها كأنّها شخص حقيقي. كنتُ أنظر إليه بذهول،ويزداد يقيني أنَّ هذا الرجل يعاني من مرض نفسي شديد أوصلهُ لما هو عليه الآن. في الوقت نفسه مايزال ذلك الغلّ الذي يسكن صدري يسيطر عليَّ بشكل كبير. لم أشعر بهذا الشعور إلا وأنا مكبّل بهذه الطريقة، ومع هذا العجوز المجنون. أتمنى لو أضع يدي على عنقهِ لأزهق روحه.

قطعتُ عليه تلك الخلوة (مع نجلائه)، وقلتُ مستفزاً:

- إلى متى ستبقيني على هذا الحال؟، لماذا لا تجهز عليَّ وتنهي جميع الأمور؟ لماذا تتباطأ قتلي وتُبقيني حيّاً كل هذا الوقت؟

وقفَ وهو يحمل تلك الجثة، ثم وضعها على الكرسي الأسفنجي بهدوء شديد، وتقدَّم نحوي وقال:

- ألم أقل لكَ إنني سأقتلكَ بطريقة مختلفة عن الباقين؟، أعلمُ جيداً أن الموت هو سبيل خلاصك، وهو ما تفكر به الآن.

قلتُ له بغضب:

- أجهزتَ على الجميع بسرعة كبيرة، والآن تتعامل معي ببرود، يكفي ما شاهدتهُ خلال تلك الأيام الماضية، وليلة واحدة هنا كفيلة أن تخرجني رجلاً بنصف عقل، طبعاً إذا خرجتُ من بيتك حياً. بعد هذه الأهوال الكثيرة التي رأيتها هنا، فالموت وحدهُ هو السبيل للخلاص من هذا العذاب كله.

ابتسم ببرود شديد وقال:

- يا لسخرية القدر!، لا أعرف وجوه هذا الموت، ومَن يحبّ ما يسمى الموت؟، كلنا نهرب منه، لكن هذا الموت له وجوه مختلفة، مرة تراه يأتي كمنقذ، ومرة تراه يأتي كمصيبة، مرات يأتي كسارق لأرواح من نحبّ، ليجعلنا نعيش أمواتاً في أجسادنا المتحركة، وأنت الآن تراهُ سبيلاً لخلاصك. لي مع هذا الموت قصة جعلتني أكرههُ وأحبّه في نفس الوقت: أكرههُ كونه جعلني أعيش مع الفقد وأسكن مع الوحدة. وأحبّه كونه يخفي كل جرم أقومُ به، فألقي بكل خطاياي عليه، ويبتلع تلك الجثث دون أن يشبع، فلذلك لي علاقة مع الموت مزدوجة ومختلفة عن باقي الناس.

لم أفهم ما يقوله هذا العجوز، والذي استنتجتهُ من كلامه أنَّ الموت خطفَ.. لحظة هنا قلتُ:

- هل تقصد أنَّ الموت خطف حبيبتكَ؟، أو ربما ابنتكَ؟، الذي أعرفه عن قصتك أنكَ فقدتَ زوجتك أثناء الغزو، والقصة التي سمعتُها أنها خرجت قبل تحرير الكويت بيومين من البيت ولم تعد، لكن هذا ليس مبرراً لكَ لتقوم بكل هذه الأفعال الشنيعة..

وضعَ يديه على نظارته السميكة، ثم خلعها وقال:

- هذا كلّ ما تبقّى منها

استمرَّ ينظر إلى تلك النظارة السميكة، وأكملَ حديثه:

- لقد فعلتُ كل ما بوسعي لأجعلها تعيش معي أطول فترة ممكنة، إنَّ ما تراه ليس إلا.. ثم صمتَ.

قلتُ هنا بفضول:

- ماذا تقصد (بما أراه)؟، إنكَ تجعلني أعيش في دوامة من الألغاز .

كان وقتها يُخرج منديلاً صغيراً من جيبه، ثم بعد ذلك راح ينظف زجاج نظارته السميكة غريبة الشكل...وقال:

- لن أبخل على ميّت في المعلومات، سأحكي لكَ تلك القصة التي أوصلتني لما أنا عليه الآن من حال. القصة التي ستسمعها من الممكن أن تشفع لي ارتكابي للجرائم.

قاطعتهُ بحدة، وقلت:

- لن يشفع لك أي شيء، مادمتَ تزهق أرواح البشر بهذه الطريقة ومن دون سبب واضح. إنكَ قاتل مختل عقلياً.. ولديه جنون من نوع مختلف.

لم يهتم لتلك الكلمات التي قفزتْ من فمي، وجلسَ بجانب تلك الجثة، ووضع يده على كتفها وراحَ يحتضنها من الخلف، ثم قال:

- نجلاء.. هذا الأحمق لا يعرف ما الشيء الكبير الذي يربطني بكِ.

قلتُ هنا بحدّة كبيرة:

- كما قلتُ لكَ: أنتَ تعاني من خلل عقلي كبير، تتحدث مع جثة، وتطلب مني تصديق ما ستقوله؟

قال لي بهدوء غير منتظر منه:

- لن تسمع في حياتكَ أصدق ممَّا سأقوله. إنَّ القصة التي ستسمعها، ستعيدُ تفكيرك في العديد من الأمور في هذه الحياة.

لم أعلق على ما يقول، وقاطعَ لحظة شرودي تلك، وقال:

- أشعر برغبة كبيرة في الحديث، أرجوك، نفّذ رغبتي بالاستماع إليّ، أريدُ أن أزيح ذلك الحمل الثقيل عن صدري، وأتحدّث قليلاً.

لم أكترثْ لما قال، ولم أتعاطف معه أبداً، وشعرتُ أنني في مصدر قوة الآن، وقلتُ:

- لن أستمع إلى مريض نفسي مثلكَ.

هنا استشاطَ غضباً، ورأيتُ عينيه من وراء تلك النظارة السميكة، والشرر يتطاير منهما، ثم وقفَ ومدَّ يده ناحية الجيب الخاص بالملاءة، وأخرجَ تلك القفازات بنية اللون، ووضعها في يديه بهدوء، وتقدَّم نحوي بخطوات ثابتة. وبعدها أخرجَ السكين من الجيب الآخر، وغرزها بكل قوة في فخذي، ثم أخرجها بهدوء وقال:

- ألم أقل لكَ: لا أريدُ سماع تلك الكلمة؟، إنها تشعرني بالغثيان، تذكّرني بأشياء لا أريد أن أتذكّرها، وتوقظ ذلك الوحش الذي بداخلي.

صرختُ هنا بأعلى صوتي من شدة الألم، وراح الدم يتدفق من فخذي، تمنيتُ لو أنَّ هذه السكين تنغرز في قلبي وتنهي كل هذه المسرحية الهزلية المتعبة.

تراجعَ ذلك المختل إلى الوراء، وهو يضع نظرةُ في نظري بكل ثقة، وملامح الانتصار تلوح على جبينه. ثم جلسَ على الكرسي الأسفنجي بجانب تلك الجثة، وقال وهو ينظر ناحيتها:

- كنت دائماً تقولين لي: لا تدع أحداً يقلل من شأنكَ، اضربْ بكل قوتك، البشر إذا رأوا جانبكَ المظلم؛ سيحترمونك دائماً، ويحسبون لك ألف حساب. لا تُرهِم جانبكَ الطيب؛ فلن يحترموكَ أبداً.

انظري يا نجلاء إلى عينيه كم هما بائستان وخائفتان!، لقد أريتهُ بعضاً من جانبي المظلم، والآن سأجعلهُ يستمع بذل لما سأقوله.

كنتُ وقتها أعيشُ حالة من الألم المتعب، تمنيتُ لو أصرخ بأعلى صوتي، قلتُ له بعدها بصوت مرتجف:

- أرجوك، أنهِ كل هذه المهزلة، لم أعد أستطيع تحمل أي شيء آخر، يكفي..يكفي

قال ونظرة الانتصار تلوح في عينيه:

- أحبّ ذلك الذل في عينيك، أحبّ تلك التوسلات، لن أنهيَ أي شيء إلا بعد أن تسمع قصتي، أريدكَ أن تسمع بكل إنصات، وبعدها سينتهي كل شيء وأعود

إلى خلوتي مع نجلاء. وبعدها ستقول لي: هل أنا على حق بكل ما أقوم به؟. أعتقدُ ذلك من وجهة نظري، لكن ما المشكلة إذا سمعتُها منك؟.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

13

هناك جانبان لكل شيء خلقَ في هذه الدنيا: جانب جميل أبيض ناصع، وهناك جانب آخر أسود كالليل، لا ترى منه أيّ جانب مشرق.. ونحن البشر دائماً نحاول أن نبيّن ذلك الجانب الأبيض للجميع، بينما جانبنا الآخر نُخفيه، مع أنَّه جانب يعطينا النشوة والسلام، يزيد بداخلنا الثقة، يُشعرنا باللذة. أمَّا الجانب الآخر فهوَ الجانب غير المنطقي الذي يلفت الأنظار إليكَ، لكنَّ أداوته مختلفة كونها تسلب من الجميع قدراتهم، وتستخدم به الطرق غير المشروعة لتصلَ إلى غايتك، الطرق التي تجعلك تتخطّى الجميع.. ضميرك في هذا الجانب لابد أن تقتله حتى يتسنّى لك مواصلة الطريق، هذا الجانب شديد السواد والخسة، نخفيه بكل ما أوتينا من قوة ونستخدمه سراً.

بهذه الكلمات بدأ ذلك العجوز المختل قصتهُ، القصة التي حوَّلته إلى ذلك الوحش الذي لم أرَ في حياتي أي شخصٍ يشبهه، وأعتقد أنني إذا خرجتُ من هنا حياً فسأصبح مثله في يوم من الأيامٍ. فالمآسي التي واجهتُها في الماضي كفيلة بنهوض ذلك الوحش النائم في داخلي أنا أيضاً لأصبح توءماً لهذا الرجل السفاح..

قال لي بغضب وبحدّة:

- ألم أقل لكَ: ركّز جيداً في كل كملة أقولها؟، إذا شعرتُ أنكَ شاردٌ أثناء حديثي؛ فسأغرز هذه السكين في فخذكَ الآخر.

كنتُ صامتاً أستمع إليه،لا أريد أن تنغرز سكّينه مرة أخرى في جسدي. يكفيني ألم جرح فخذي والذي أيضاً مايزال ينزف. تحملتُ كل هذا العذاب، وحركتُ بعض ما تبقى من التركيز بداخلي، وبدأتُ أسمع قصّته.

قال بعد أن رمى جسمه على الكرسي الإسفنجي:

- ولدتُ في منتصف الستينات من القرن الماضي، لأم وأب حُرما من الإنجاب في بداية زواجهما، ولم أدخل حياتهما إلا بعد سبع سنوات من الانتظار. كان قدومي إلى حياتهما عبارة عن سعادة لهما انتظراها منذ سنين، مثل الشمس التي تشرق على البلاد الممطرة الضبابية. كانت والداتي تقول لي أنّها فقدت الأمل بالإنجاب، لكنّ رحمة الله كانت واسعة، وفرحتْ وأبي بخبر حملها بي، وكانت مفاجأة سارة للجميع، رغم أنَّ عائلتي لم تكن كبيرة في الكويت، لكن الكل كان يقف مع أسرتي، وفرحَ الأقرباء جميعاً بخبر حمل والدتي.

أتيتُ إلى الحياة وبدأتُ أغيّر مسار عائلتي، الأمر الذي جعلني أرى أشياء في البداية لم أعلم آنذاك أنها كانت ضارة لي، وكنتُ أراها أشياء جميلة ومريحة

بالنسبة لي، ومع مرور الوقت اكتشفتُ أنها ستؤثر على شخصيتي بشكل سلبي.

والدي كان رجلاً جيداً خلال حياته، ومنظماً يسير على بعض المبادئ. يتولّى منصباً جيداً في الدولة، ووالدتي امرأة حريصة جداً على كل شيء حولها، ودقيقة نوعاً ما في خياراتها وقراراتها، وكنتُ من الأشياء التي كانت تحرص عليها بشكل كبير. ولأنني كنتُ طفلاً أتى من بعد طول انتظار، فقد انغمستُ داخل دائرة التدليل الواسعة، وأصبحتُ شيئاً هاماً في حياة والديَّ، وكل رغباتي مُجابة. كان كل شيء يأتي إليَّ بكل ودّ، وكل طلباتي تتحقق، فقد كنتُ طفلهما المدلل.

وطبعاً هذا كله ليس بالشيء الجيد الذي يقوم به والداي، لكنَّ خوفهما عليَّ سببهُ أنني كنزهما النادر الذي لا يريدان أن يفقداه، وهما يسعيان إلى جعلي سعيداً طوال الوقت، ويخافان عليّ من كل شيء. ولم يعلم أبي وأمي أنَّ ما يفعلانه ضارٌ جداً لي إلا بعد أن اقتحمتُ غمار الحياة، وبدأتُ بمخالطة الناس من خلال دخولي إلى المدرسة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أمي وأبي صنعا منّي شخصاً اتكاليّاً، لا يعرف كيف يتحدث أو يتصرف مع الآخرين، فبدأت معارك التنمّر من أقراني في المدرسة، الذين خرجوا من بيوتهم بشكل طبيعي، بينما أنا خرجتُ كمدلل أفرط أهلهُ في تدليله، وكنت كل يوم آتي إلى البيت حاملاً في وجهي وجسدي بعضاً من الإصابات. وهناك كثيرٌ من المعارك التي أخوضُها مع نفسي ومع الناس. كرهتُ كل شيء، وأصبحتُ أعاني من حالة نفسية سيئة، وهذا الأمر لم يلاحظهُ والداي أبداً. وكانَ كلّ همّهما أن يقتصّا من أي شيء يحاول الإلحاق الأذى بي، فزادت الأمور سوءاً معي، وبدأتُ أشبُّ بين الناس بشخصية غير سوية ومرتبكة، فاقداً للثقة بنفسي وبالبشر.

في عيون أهلي كنتُ الولد الجيد المميز، لكن في نظر الناس كنتُ شخصاً أحمقَ مغروراً اتكاليّاً، لا يُعتمد عليه، ألقَّب بين أقراني بـ "دلّوع أمه ". وأنتَ تعلم الناس في مثل هذه المواقف يكونون ذوي وجهين. أمام أهلي أصبح شخصاً جميلاً، ومن وراء ظهورهم أصبح إنساناً آخر. المجاملة والرياء هما الشيئان اللذان بدأتُ أتعرف عليهما في هذه المرحلة.. ما أن أترك لوحدي دون والديَّ حتى تبدأ تلك السكاكين تنغرز في كل أنحاء جسدي.. من كلماتٍ سيئة ومعاملة مشينة، حتى بدأتْ عبارة (مريض نفسي) تتردد ما بين حين وآخر وتلاحقني، وبدأتُ أسمعها بوضوح، وأرى في عيون الناس ردات الفعل من ابتسامات ساخرة، وأسمع المسبّات لي والغمز واللمز. وأصابني سماع ذلك بعقدة نفسية، وأصبح أقراني ينادونني بالمريض النفسي. هذه العبارة

بدأت تتطور، وتظهر معانيها في نظرات العديد من الناس. وأخيراً أصبحت مثل الشتيمة لي، وصارَ رفاقي ينادونني: (سلمان المختل)، أو (سلمان المريض النفسي).

لم تكن بالعبارة الجميلة بالنسبة لي، بل صارت مذمَّة متعبة أكرهُها وتصيبني بالجنون، لا أحبُّ سماعها، أغضبُ وأشعر بشيء داخلي يتبعثر عندما أسمعُها، ولا أعرف كيف أدافع عن نفسي، ولم أجد سوى العراك والمشاجرات سبيلاً وحيداً للرد على تلك الإهانات، وهذا كله لم يُعفِني من تلك الصفة التي التصقت بي: الاختلال العقلي والنفسي.

حتى بدأت مرحلة جديدة من حياتي، عندما تعرَّض والدي إلى أزمة مرضية جعلتهُ طريح الفراش. كنتُ وقتها في الثامنة عشرَ من عمري، الأمر الذي جعلَ والدتي تنشغل عني، وتركز على رعاية والدي المريض. هنا طلبتْ والدتي طلباً غريباً بالنسبة لي وقالت:

- لقد كبرتَ الآن يا سلمان، ولابدَّ من الاعتماد على نفسك، ولابدَّ من مساعدتي في تنظيم شؤون المنزل. بعد مرض والدك أنتَ الآن ستصبح رجل البيت.

كان هذا الطلب بمثابة القنبلة التي انفجرت في داخلي، كيف لي الاعتماد على نفسي؟، فطوال السنين الماضية كنتما أنتما تقومان بكل ما أطلبُ، وصنعتُما مني إنساناً اتكاليّاً لا يعرف حتى الاعتماد على نفسه في أي شيء، ولا يستطيع أن يقوم بأي شيء. لقد رماني والداي وسطَ البحر، وأنا لا أجيد السباحة، وكان التيار يجرفُني بكل قوة دون رحمة.

كيف سأفي بمتطلبات الحياة وأتدبّر أمري؟، هذا ما جعلني أعيش في ورطة كبيرة، لا أعرف كيف أتخلّص منها؟، حتى جاء الخبر الآخر غير السعيد وهو وفاة والدي، ما شكَّل لي صدمة جديدة في حياتي. حتى والدتي بدأت تبتعد عني رغم أنني كنتُ عشقَها الأبدي، لكنَّ وفاة والدي جعلها تدخل في حالة من الاكتئاب الذي جعلها امرأة منطوية، طريحة الفراش. بقيتُ وحيداً في هذه الحياة خلال تلك الفترة.. والداي لم يدرِّباني على مواجهة الحياة، لم يُعطياني أسلحة أستخدمها لمواجهة مشقات وتحديات هذه الدنيا وهؤلاء البشر. كنتُ أدخلُ في العديد من المشاكل مع الناس ومع نفسي...أصبحتُ أضحوكة للجميع، وكل شخص حولي يريد استغلال سذاجتي لأنّهُ ليس لديَّ أيَّة مهارة من مهارات الحياة. بدأتُ ألوم والديَّ على كل أفعالهما السابقة، وأردّد قائلاً في سرّي: حتى الحيوانات تدرّب أبناءها على مواجهة الصعاب، لماذا أنتما أغفلتُما هذا الجانب؟!

ثمَّ دخلت مرحلة جديدة من حياتي، عندما بدأ قلبي ينبض لأحدى الفتيات. كانت جميلة وتدعى (سلمى)، وكانت تسكن بالقرب من منزلنا، وكنتُ دائماً أحاول التقرب منها والتودد إليها، وسارت الأمور على ما يرام، وتعرفتُ على سلمى، وتقربتُ منها بشكل كبير. لم أكن أردُّ لها أيَّ طلب، وكانت بالنسبة لي حلم حياتي الجديد، والأمل الذي سيُنسيني كل الآلام التي واجهتُها في السابق، لكنَّ الحقيقة كانت شيئاً مختلفاً؛ فسلمى هي الأخرى كانت تستغلّ سذاجتي وعدم خبرتي في التعامل مع الجنس الآخر، لأنها لم ترَ بي أيَّ شيء يجذبها، سوى أنني شخص جيد في تنفيذ الأوامر.

لم أكن في سنّ يجعلني أملكُ من المال الشيء الكثير، وسلمى كانت تطلب الكثير من الأموال والهدايا، والتي كانت تفوق قدرتي المالية.. حتى والدتي رفضتْ إعطائي المال، بسبب طلباتي الكثيرة للمال، حتى نفذتْ أخيراً كل مواردي المالية، وتوقفتُ عن تنفيذ طلبات سلمى المتعلقة بالمال. وذات يوم هددتني سلمى أنني إن لم أستجب لطلباتها بالإنفاق عليها؛ فستتركني وترحل. وطبعاً أغلب ما تريد هي النقود، والمبالغ التي تطلبها كانت كبيرة، وتلبية طلباتها كانَ مستحيلاً، لكنّي كنتُ متعلقاً بها بشكل جنوني، فلم يتقبّلني أحد غيرها ويقيم معي علاقة صداقة.

أخيراً اضطررتُ أن أقوم بعمل غريب جداً، وغير مألوف بالنسبة لي. بدأتُ بسرقة السيارات الواقفة من خلال كسر زجاج نوافذها، والبحث في داخلها عن أي شيء أستطيع من خلاله تلبية حاجات سلمى. وكانَ كل ما أبحث عنه هي الأموال أو أي شيء يضاهيها قيمةً.. وطبعاً كما هو الحال، كنتُ عديم خبرة، ولم تدم عمليات سرقاتي المتتالية، ووقعتُ بسرعة في يد الشرطة بالجرم المشهود. حاولتُ ذلك اليوم تبرير موقفي، كنتُ أوضح لهم أنَّ ما حصل سببهُ سلمى، وهي أنكرتْ كل شيء، حتى معرفتي بها، وبسبب ذلك سُجنتُ لمدة ثلاث سنوات. كان الخبر صاعقاً وسيئاً بالنسبة لوالدتي التي دخلت في دوامة الاكتئاب مجدداً. وقبل خروجي من السجن بشهرين سمعتُ خبر وفاتها، الذي جعلني أبكي بكل حرقة. كنتُ فقط أريد الخروج من السجن وأول شيء أفعلهُ هو احتضان والدتي والبكاء على صدرها. لكنَّ القدر لم يسعفني أبداً وكان قاسياً جداً معي،فلم يتبقَّ لي في هذه الحياة أيَّ سند: لا أم أو أب، أو حتى حبيبة، بقيَ بعض الأقارب الذين يتملصون من مسؤولياتهم تجاهي، الشيء الوحيد الذي تركهُ لي والداي، هو هذا البيت كميراث بعد وفاة أمي.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

14

كنتُ في منتصف العشرينات من عمري، عندما خرجتُ من السجن، لم أكن أرى أيَّ شيء أمامي سوى الوحدة المتعبة، وفوق هذا كله كنتُ أعاني من مرض نفسي اكتشفتهُ بعد خروجي من السجن هو: الرهاب الاجتماعي، وخوفي من مواجهة الناس أو الاختلاط بهم، وهذا كله نتيجة التجارب القاسية التي مررتُ بها قبل وأثناء دخولي السجن، فبقيتُ حبيس هذا البيت لفترة من الزمن. كل شيء أقوم به لوحدي، لا أختلط مع أحد ولا أواجه أحداً. لكنَّ الناس لا يتركونك بحالك، فبدأت الشائعات تنالني، كوني كنتُ شاباً غير متزوج وأعيش في منزل كبير لوحدي. وأغلبُ الشائعات التي نالتني هيَ تعاطي المخدرات والمشروبات المحرَّمة، وغيرها من المنكرات الأخرِى. أي أنني إنسان فاسد، وغير ذلك من التّهم التي لا أعرف كيف أصفها لكَ، ولا أعرف على أيّ أساس خلقَ هؤلاء الناس تلك الشائعات وصاغوها بهذه الطريقة!

لم أكن وقتها أسكنُ في هذه المنطقة، وبسبب تلك النظرات الغريبة في ذلك الشارع، والكلام الذي يحيط بي من كل جانب، قررتُ بيع منزل العائلة، حتى أنسى معه كل الذكريات السيئة والتعيسة، وأتخلص من هذا الشارع اللعين، ومن تلك النظرات غير المبررة المسلّطة عليّ. وبالفعل بعتُ البيت. في البداية سكنتُ في شقة صغيرة، وبعدها بفترة استطعتُ أن أشتري هذا البيت في منطقة القرين، التي كانت أواخر الثمانينات حديثة جداً، حتى إنَّ بيوتها لم تكن غالية الثمن؛ كونها كانت منطقة جديدة، ومن هنا بدأتُ بداية أخرى في حياتي.

الحياة أراها منعطفات، لا استمرار للحزن الأبدي أو للسعادة الأبدية. وكما قلتُ لكَ، قررتُ إنشاء مشروع تجاري، أقوم من خلاله باستغلال وقتي بشيء نافع، , وأحصل منهُ على دخل شهري يغطّي متطلبات حياتي الشخصية. كنتُ خائفاً جداً من هذه الخطوة، كوني أعاني من أمرين: الأول أنّهُ لديّ مشكلة مع المجتمع بسبب الحالة النفسية التي أعانيها وهي الرهاب الاجتماعي. والثانية أنني لا أملك أيَّة مهارة في التعامل مع الناس. وبعد فترة طويلة من دراسة الموضوع، استطعتُ اختيار المشروع الذي أريدهُ، وكان عبارة عن شركة لتصميم الديكورات الداخلية للمنازل، وأنتَ تعرف أنَّ الشركة تحتاج إلى موظفين. ومن خلال الإعلانات أمّنتُ بعض الموظفين من بعض الجنسيات العربية، وكانت إحداهنَّ نجلاء، تلكِ الفتاة الهادئة صاحبة الوجه المريح في الملامح.. كانت بيضاء نحيلة نوعاً ما، ذاتُ عينين واسعتين، وقلبِ ناصع البياض. ومن النظرة الأولى لها، رأيتُ في عينيها تلك الثقة التي أَفتقدها، والحزم في اتخاذ القرارات، والقدرة المميزة على ترتيب الأمور. وكما هو الحال لابدَّ من الاتصال المباشر بي؛ فأنا مديرُ المشرِوع وصاحبه.

ومنذ اللحظة الأولى بدأتْ ثقتي بها تزداد، ولم أتردد لحظة في إعطائها المهمات، ولأنني متألم من الناس كثيراً فقد أخضعتُ نجلاء إلى عدت اختبارات، استطاعت النجاح فيها جمعيها، حتى نالت كل الثقة.. وكما تعلم فأنا ساذج وسيء في اتخاذ القرارات، لكنَّ قراري في جعلها المستشارة الخاصة بي والسكرتيرة التي تدير شؤون الشركة، كانَ من أنجح القرارات التي اتّخذتها في حياتي.

و نجلاء كانت إنسانة صادقة معي، وحريصة على العمل. كنتُ أرى فيها كل شيء أفتقدهُ: أرى فيها أمي، أرى فيها الناس الذين أبحث عنهم، أرى فيها حياتي التي أحلم بها كل يوم. لا يمرّ يوم دون أن ألتقي بها أو أحدّثها من خلال الهاتف. تعلقتُ بها بشكل مجنون، لكنّي كنتُ خائفاً كثيراً من مصارحتها بما في قلبي، حتى لا تصدمني بأيّ قرار يُنهي علاقتي بها، وتترك الشركة.

وذات يوم خرجتُ من منزلي وكلّي تصميم على أن أطلب يدها للزواج، فأنا أملك كل متطلبات الزوج الناجح: رجل في بداية الثلاثين من عمري، أعيش لوحدي في منزل كبير، وأحتاج إلى زوجة تلبّي احتياجاتي، ونجلاء فيها كل المواصفات التي أتمناها. وبالفعل، فتحتُ الموضوع معها بشكل مباشر، ومن دون مقدمات، أذكرُ جيداً، نجلاء في ذلك اليوم تركت العمل ورحلتْ. وهذا الأمر جعلني كالمجنون، وظننتُ في البداية أنها رسالة تدلّ على رفضها لي، إلا أنَّ الهاتف الذي جاءني في اليوم التالي بدَّدَ ظنّي، وأخبرتني فيه أنّها موافقة بشرط أن أعلن هذا الزواج بشكل رسمي، لأنَّ أغلب الزيجات التي كانت تحصل في ذلك الوقت كانت من نساء غير كويتيات، وكانت تحصل في الخفاء.

لم أتردد لحظة واحدة في الموافقة، وأقدمتُ على خطوتي هذه وتزوجنا بشكل سريع. كنتُ وقتها في أسعد لحظات حياتي.. بل إنها أسعد أيامي. منذ سنة 88 حتى مطلع سنة 1990 غيّرت نجلاء حياتي رأساً على عقب، أعطتني كل ما أفتقدهُ، عالجتْ جميع أمراضي النفسية، لم يكن هناك أيّ شخص في حياتي إلا هي. عندما أحتارُ في أمر أستشيرها وأجدُ لديها الحل، عندما أحزنُ لا أرى سوى حضنها الذي كان يؤويني. علّمتني أشياء لم تعلّمها لي أمي: كيف أتعامل مع الناس، كيف أواجه الحياة، كيف أتدبر أموري، أصبحتُ طفلها الكبير، وهي أمي الثانية، حتى كلماتها كنتُ أحفظها بشكل كامل.. في الحديث مع الناس، كانت هي ملاذي الآمن، وحب حياتي.

لا أنسى أيَّاً من تلك اللحظات الجميلة، بدأتْ حياتي بالتحسن، وتجارتي بالتوسّع، وحالتي النفسية أصبحتْ أفضل مما كانت عليه. بدأتُ أواجه الناس، أعرف كيف أتحدث معهم. نجلاء رتبت حياتي بشكل لا مثيل له، رغم أنّها لا تحمل أية شهادة عليا، لكنها كانت تحمل شهادة هامّة هي شهادة: كيف تتعامل

مع الحياة؟، بسبب ما مرت به في السابق من صعاب، كونها كانت هي المعيل الوحيد لعائلتها وإخوتها بعد وفاة والدها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

15

عندما بدأ أبو نورة يتحدث عن قصة التقائهِ بنجلاء، والفترة الذهبية الجميلة التي عاشها معها، لم تتوقف عينيهِ عن ذرف الدموع. كانت تتساقط بغزارة، وشعرتُ أنَّ قلبه ملتهب، ونيران أشواقه تزداد استعاراً، قاطعتهُ وقلت:

- حتى الآن لم أجد أيَّ مبرر يشفع لكَ ما تقوم به من الأفعال الشنيعة.

نظر إليَّ بعينين حمراوين، وقال:

- أيها الأحمق، الحكاية لم تنتهِ حتى الآن.

صمتتُّ ولم أرد على كلامه، وشعرتُ أنني استعجلتُ في مقاطعته، حتى تعليقي لا يتناسب مع حالته النفسية، أكملَ بعدها قائلاً:

- في أواخر الثمانينات وبداية التسعينات، كانت سنواتي الذهبية، سنواتي التي لن تتكرر أبداً، وكل إنسان فينا يمرّ بهذه المرحلة التي تبقى عالقة في ذهنه، ويبتسم عندما يتذكرها. تكون البلسم الجميل الذي يداوي جروح الحاضر المؤلمة. حتى جاء وقت الغزو العراقي لدولتنا، في أغسطس عام 1990، والذي على إثرهِ انقلبَ الحال في البلاد وتغيرت العديد من الأمور. لم نغادر أنا ونجلاء، رغم أنَّ الفرصة كانت سانحة. بقينا كما بقيَ معظم الناس، وكانت هذه المرأة التي أعتبرها حديدية تشد من أزري وتسندني بكل قوتها، حتى شعرتُ للحظة ما أنّها بنت هذا البلد رغم أنّها من جنسية مختلفة، بسبب حزنها الشديد لما حصلَ للكويت ولتغير الأحوال فيها. وعشنا تلك الفترة بأحزانها وبمآسيها الكثيرة، وبأفراحها القليلة، حتى حان موعد تحرير الكويت سنة 1991، والتي كانت فرحتنا وقتها غامرة وكبيرة، كوننا كنّا نواجهُ مصيراً مجهولاً، ونتوقُ إلى تغيير الحال إلى الأفضل وتنفّس الصعداء. كنتُ في ذلك الوقت أزور بعض بيوت جيراننا التي تركها أصحابها، للاطمئنان عليها وحمايتها، كونها خاوية من أهلها، وذات يوم وبالتحديد قبل نهاية الغزو بشهر اكتشفتُ أن أحد هؤلاء الجيران كان يخفي سلاحاً صغيراً، كان عبارة عن مسدس. في البداية خفتُ كثيراً من حمله إلى بيتي، وبعدها فكرتُ وقلتُ: لماذا لا أخفيه عندي واتّخذهُ وسيلة لحماية بيتي في حال حدوث أي خطر؟.

لم أتردد، وبالفعل أخذتُ السلاح إلى منزلي، كانت نجلاء في البداية رافضة لفكرة إخفاء هذا الشيء في منزلنا، خوفاً من عملية تفتيش مفاجئة تقوم بها القوات العراقية. فاكتشاف أيّ سلاح في المنزل ذلك الوقت كانَ يعتبر جريمة، ومن الممكن أن يزهق روح صاحبه إذا اكتُشفَ لديه أيٌّ من الأسلحة. لكنها قالت: لا مشكلة إذا تمَّ إخفاؤه بشكل جيد.

وبالفعل تمَّ إخفاؤه بشكل جيد، حتى موعد تحرير البلاد من براثن الاحتلال. وكانَ الناس وقتها يعيشون فرحة النصر والتحرير، وكنّا أنا ونجلاء نعيش تلك الفرحة الجميلة، وفي ثاني يوم للتحرير تذكرتُ ذلك السلاح، ويا ليتني لم أتذكره!، فأخرجتهُ كنوع من التعبير عن الفرح، خاصة أنَّ الخطر قد زالَ عن البلاد، والأمور جميعها عادت إلى ما هي عليه، وأصبحتْ مشاهدة تلك الأسلحة مألوفة في تلك الفترة.

أتذكر تلك الليلة السوداء جيداً، كانت الكهرباء مقطوعة عن جميع أنحاء البلاد، وكنا نستخدم المصابيح الغازية، وكنتُ وقتها أجلس في صالة المنزل في الطابق الأرضي، والإنارة لم تكن جيدة بشكل كافٍ، وكان السلاح موضوعاً على الطاولة التي أمامي، أمسكتُ بالمسدس وبدأت أتأملهُ، كانت نجلاء وقتها تطوفُ في المنزل،وهي ترتدي تلك النظارة السميكة ذات الإطار الأسود، وفي نفس الوقت كانت تحذّرني من هذا الشيء، وتطلب مني عدم العبث به.

لم أكن آخذ تحذيرات نجلاء في بداية الأمر على محمل الجد، وكنتُ أقول إنّها تبالغ كثيراً، فهو في النهاية آلة جامدة، لن تؤذيك مادامت تحت سيطرتك. أمسكتُ ذلك المسدس ورحتُ أقلّبه، وعشتُ دور أنني بالفعل أستخدمهُ في حال داهمَ خطر ما بيتنا. كنتُ أمثل مشهداً أصوّب فيه فوهة مسدسي ناحية الضحية، وفي لحظة لم أكن أتصور أنّها ستحصل، سحبتُ صندوق ذلك المسدس في محاولة مني لمعرفة هل هذا السلاح يحمل رصاصات في داخله؟، وذلك بالكشف على مخزنه الداخلي. وكنتُ وقتها أوجّه فوهته إلى الناحية المقابلة لي، ولم أكن أعلم أنّ نجلاء في هذا الوقت كانت تسير في الصالة، لأنَّ الإضاءة كانت خافتة جداً، فانطلقت رصاصة كانت محشورة في المسدس، لم أنتبه إلى وجودها، وخرجَ ذلك الصوت المزعج الذي ملأ المكان على آخره بالدويّ.

وسمعتُ بعدها تلك الصرخة التي خرجتْ من نجلاء، والتي كانت الأخيرة لها، ليعمَّ بعد ذلك الهدوء. كنتُ أظن أنَّ نجلاء صرخت من مفاجأة الصوت لها.. بعد دقائق قلتُ وأنا أحاول اكتشاف مكان نجلاء:

- أعتذر يا حبيبتي، لم أكن أعلم أنَّ هناك رصاصة في المسدس.

وفور انتهاء جملتي انتظرتُ أيَّ رد، لكن لم تكن هناك أيّة استجابة. كررتُ مناداتي لها،ولم أجد أيَّ رد للمرة الثانية. شعرتُ وقتها بشيء ثقيل يقف على صدري، شعرتُ أنني تسبّبتُ في مصيبة، ولم أفهم ما هو نوع تلك المصيبة؟!، نهضتُ واقفاً، مددتُ يدي ناحية المصباح الغازي الذي كان بجانبي، وانطلقتُ إلى الغرفة التي كنتُ أظن أنَّ نجلاء كانت فيها، فلم أجدها، وتوجهتُ إلى

المطبخ وكل الأماكن لكن لم أجد أحداَ. اختفتْ نجلاء فجأة، وبعدها عدتُ أدراجي إلى الصالة، وكانت هناك المفاجأة.. لقد وجدتُ نجلاء ممددة على الأرض، لم أنتبه إليها في البداية بسبب ذلك الظلام الدامس الذي كان يعمّ المكان، انطلقتُ ناحيتها لأكتشف تلك الدماء التي حاصرتْها، بدأتُ بمناداتها لكن لم أسمع أيّة إجابة، وتلك النظارة السوداء كانت غير مثبتة بشكل جيد فوق عينيها.

كان الأمر مفزعاً إلى حدّ الجنون، مفزعاً بحيث تشعر وقتها أنَّ الكون كله يسلط أضواءه الساخنة عليك. لم أستوعب أنَّ حبيبتي ودُنيتي قد فارقت الحياة، نعم لقد ماتت نجلاء يا سلمان دون أن تودعك، دون حتى أن توصيك، ماتت الحياة التي كنتُ أعيشها بسعادة، الرصاصة التي كانت محشوّة في ذلك السلاح المجنون هي ما انطلقت واستقرت في رأسها مباشرة، يالهذا القدر البائس!، دائماً يخطف منّا الأشياء الثمينة في مصادفات لعينة. أمضيتُ الليل كله أبكيها، أحاول أن أسعفها بطريقتي، أمسحُ ذلك الدم الذي يتدفق من رأسها، لكنْ لم تكن هناك أيّة استجابة. كان فقط الموت هو الذي يحلق فوق رأسي ورأسها! أتذكر تلك الليلة جيداً، عندما تشبّعت كثيراً من رائحة الدم التي ملأت أنفي، بدلاً من التشبّع برائحة عطرها الذي أعرفه جيداً.

بكيتُ ليلتها بكاءً لم أبكهِ حياتي، شعرتُ أنَّ كل أحزان الكون قد تراكمت في صدري. لم أصدّق في البداية ما يحدث!، كنتُ أظنه كابوساً، وكم تمنيتُ أن يكون كذلك، أريدُ أن أستيقظ منه كي أحتضن نجلاء، وأشعر بدفء أنفاسها، لكن للأسف هذا لم يحدث! كل ما شعرتُ به وقتها تلك الرائحة التي بقيت عالقة في أنفي حتى هذه اللحظة، وأصعب الليالي هي تلك التي تعيشها وأنت غير مصدق أنكَ ستنامُ لتستيقظ دون أن تشعر بأنفاس من تحبّ.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

16

مضت ليلة وأنا متكوّر على نفسي بجانب جثة نجلاء، غير مصدق ذلك المنظر، لم أتحرك من مكاني، كنتُ فقط أعاتبها على ذلك الرحيل غير المبرر، كنتُ أقولها: لا أعرف كيف سأعيش من دونكِ السنوات المقبلة من حياتي، بالأمس كنتُ أضع رأسي على صدركِ وأسترخي بهدوء.. والليلة لا أجد هذا السند، الأفكار في رأسي حزينة ومزدحمة وصاخبة، وقلبي تخدَّر من الوجع.

شعرتُ بتلك اللوعة التي يحسّ بها هذا المخبول، وبالتحديد بعد تلك الليلة التي فارقتني يها زوجتى الأولى، وقلتُ له:

- ماذا فعلتَ بعد ذلك؟

قال بهدوء وسكينة وبملامح بائسة:

- مددتُ يدي إلى نظارتها تلك ووضعتها فوق عيوني، وها أنا ملتزم بذلك حتى اليوم. وهذه النظارة هي ما تبقّى منها. كنتُ أريد أيَّ شيء من رائحتها، لكنَّ النظارة لم تكن تكفيني أو ترضي ذلك الشوق العارم الذي يعتمل في صدري للقائها.

في البداية قررتُ أن أبلغ الشرطة، خاصة بعد مرور يومين، وكانَ جسد نجلاء ممدداً داخل الصالة، والجثة بدأت تنتفخ وتظهر عليها ملامح الازرقاق والشحوب. كانت البلاد وقتها تمر بفترة تطبيق الأحكام العرفية، ففكرتُ قليلاً قبل اتخاذ خطوة تسليم نفسي للشرطة، وقلتُ: لماذا لا أغيّر تلك الفكرة، وأحتفظ بهذه الجثة في المنزل؟، وبذلك ألبّي شوقي الجارف إلى نجلاء وأشاهدها كل ليلة، وأيضاً أفلتُ من أيّ حكم من الممكن أن يطالني، خاصة أنَّ البلاد تمرّ بوضع حساس، ومن الممكن أن تكون وقتها الأحكام العرفية والقضائية غير صائبة.

فألغيتُ تلك الفكرة من رأسي، وقررتُ إبقاء جثة نجلاء في المنزل ما حييتُ..

نظرتُ إليه باستغراب، وقلت:

- يعني هذه الجثة التي بجانبك هي جثة نجلاء، كيف حافظتَ عليها طوال هذه الفترة؟

قال بهدوء:

- هنا تبدأ الفكرة الصعبة والمرَّة بنفس الوقت. لم أكن في البداية أتصور أنني سأحافظ عليها لفترة طويلة، لكن حبّي لنجلاء جعلني أبقي عليها لفترة طويلة. كانت الأمور جميعها صعبة ومربكة، لأني وقتها كنتُ أعيش حالة

مضطربة غير مستقرة، ولم أكن مصدقاً لما يحدث، لكنَّ رائحة جثة نجلاء بعد أن بدأتْ بالتحلل جعلتني أغيّر أسلوبي وتصوري للأمور، وبدأتُ أبحث عن طرق أخفي من خلالها هذه الجثة بإتقان، دونَ أن يشعر الناس المحيطون بي بذلك.

ولذلك ذهبتُ وأبلغتُ عن فقدان زوجتي، واخترعتُ لهم قصة من خيالي، ادّعيتُ أنَّ زوجتي قبل تحرير الكويت بليلة خرجت من المنزل ولم تعد، وكانت هذه الأقاصيص في تلك الفترة تصدَّق، ويعتقد الكثيرون أنَّ الجيش العراقي هو من كان يأسر المواطنين. وبالفعل حدثت العديد من هذه الممارسات بحق الناس العزّل في تلك الفترة، وهو ما جعلني أربط تلك الأحداث العامة، بالحدث الرئيسي الذي جرى في بيتي.

ونظراً لانشغال السلطات في تلك الفترة بأمور البلاد، لم يكترث أحد لقصتي، ولم يتحقق أحد من صحّتها فصدّقها الجميع، حتى أهل نجلاء في بلدها صدّقوا تلك القصة، فهم يعرفونَ جيداً أنني أحبها إلى درجة الجنون، ولا أستطيع إيذائها.

أما الخطوة الأخرى التي كنتُ أريد تنفيذها فهي: كيف أحافظُ على نضارة وحيوية الجثة؟، فتذكرتُ أنني قرأت كتاباً عن تحنيط الجثث؛ للإبقاء على حيويتها. وبدأتُ عملية البحث المتعب عن هذه الكتب، التي كانت عملة نادرة في ذلك الوقت. وبواسطة معارفي استطعتُ الحصول على بعضها، وقد ساعدتني على تعلم التحنيط.

في هذه الفترة كانت رائحة جثة نجلاء تنتشر في المكان؛ فخفتُ كثيراً أن تصل هذه الرائحة إلى أنوف الجيران، وبدأتُ من ذلك اليوم أستخدم البخور بشكل يومي، وأضع تلك النظارة الغريبة، والتي كانت أيضاً شيئاً ملفتاً للجميع حين أخرج من البيت كونها غير ملائمة لوجهي، وأيضاً بسبب طرازها القديم الذي لا يستخدم في هذا الوقت. لكن هذا كله لم يهمّني لأنّ النظارة هي ما تبقّى من رائحة نجلاء، وأشعرُ بالرضا عندما أضعها فوق عينيَّ. ومن ثمَّ بدأتُ بتنفيذ طقوس تحنيط الجثة، بالطرق التي قرأتُ عنها، ثم وضعتُ جسد نجلاء بعد تحنيطه داخل صندوق زجاجي في غرفتي. كنتُ أراها كل يوم، ولا أنكر أنَّ تحنيطي للجثة لم يكن بجودة تحنيط الفراعنة، وهناك العديد من الأخطاء التي وقعتُ فيها، لكن في النهاية وصلتُ إلى الوضع الذي أريده، وهوَ المحافظة على الشكل والملامح.

كنتُ كل يوم أجلسُ جسد نجلاء معي في الصالة، وأتناول معها الطعام، وأنظفها، ألبسها أفضل الملابس، وأرشّ عليها العطور التي كانت تحبّها. كنتُ أسعى دائماً لتحقيق راحة نجلاء، حتى إنني أضعُ أمام جسدها الطعام التي

تحبه، رغم أنّها لا تأكل، وأتحدث معها عن كل الأشياء التي كانت تحصل معي، وأشكو لها جميع الأمور التي تضايقني، وأرقص معها على أنغام الموسيقى التي تحبها. أعلم أنني كنتُ أعيش مع جثة، لكن هذا كان يرضيني كثيراً، ويشعرني براحة غير مسبوقة.

ومع مرور الوقت، بدأ جلد جسد نجلاء بالتغيّر، وعظامها بدأت تخور وتتكسر، وملامح وجهها تتلاشى وتفسد، وهذا أمر طبيعي، وأيضاً مفزع بالنسبة لي، كوني أفقد جزءاً هاماً من جسدها، وإذا استمرَّ الحال على ما هو عليه، فمن الممكن أن أخسرها إلى الأبد، وهذا الأمر الذي لم أكن أريدهُ أو أفكر به.

وبدأتُ أبحث عن أيّة طريقة أعيدُ بها جسد نجلاء لما هو عليه، أعيدُ النضارة إلى جلدها الناعم، وأرمّم تلك العظام المحطمة، وأبدّل تلك العيون التي غارت أو تلاشت. كنتُ أبحث عن أي بديل لهذا الأمر، حتى جاء الحل بعد أن قرأتُ خبراً كان مكتوبا في الجريدة، يتحدث عن قصة قاتل متسلسل من الجنسية الأمريكية يدعى "إد جين سفاح تكساس"([1]).

ويعود سبب قيام إد جين بتلك الجرائم، إلى تعلقه بوالدته المتوفاة، فأراد من خلال هذه الجرائم إعادة إحياء والدته. وقد صُعقَ عناصر شرطة الولاية بما شاهدوه عند دخولهم منزل إدجين أول مرة، إذ رأوا عدداً من الجثث المعلقة وشبه المسلوخة ومنزوعة الأعضاء، وعدداً من الرؤوس والأعضاء البشرية. توفي إد جين في عام 1984 في مصحة نفسية، بعد أن حكمت المحكمة عليه أنّهُ غير مذنب كونه مختل عقلياً، وبقيَ إد جين في المصحة العقلية حتى موعد وفاته.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(يرتدي جلود ضحاياه، ويستعملهم في ترميم أثاث منزله)، هذا كان نص الخبر الرئيسي في الجريدة التي قرأتُها. هذا السفاح كان أيضاً عاشقاً بنفس ظروفي، لكنَّ عشيقته هذه المرة هي أمّه، وكان أيضاً يريدها أن تعود إلى الحياة بعد موتها، فقام بطرق غريبة ومقززه لإعادة والدته إلى الحياة، من خلال انتقامه من النساء اللواتي كانت والدته خلال حياتها تكرههنّ، وتحذّر جين منهنّ، فأصبحت النساء بنظرهِ مختصرات فقط بأمه.

فقام هذا السفاح بقتل النساء والتمثيل بجثثهنّ، واستعملَ جلودهنّ في ترميم أثاث المنزل، وغير ذلك من الأمور المفزعة، إضافة إلى أنَّ عشقه المجنون جعلهُ يفكر في أن يتحول إلى امرأة؛ حتى يكون مشابهاً لأمه التي كانت قد استطاعت في حياتها السيطرة الكلية على عقله، وبعد موتها وجدَ جين أنَّ حياته أصبحت فارغة وليس لها أيّ معنى، فقام بتلك الأعمال الشنيعة، في محاولة منه لإرضاء نفسه، وتخليداً لذكرى والدته التي حاول إعادة أحيائها بطرقه الخاصة.

انتبهتُ هنا في قصة هذا السفاح إلى نقطة جداً هامة، وهيَ أنَّ ذلك الرجل كان يقوم بسلخ جلود ضحاياه وإعادة تدويرها بطرقه الخاصة، لتنطلق فكرة في البداية اعتقدتُ أنها مجنونة ومن الصعب تنفيذها، لكن مع مرور الوقت بدأت ترسخ في ذهني بشكل كامل، وفي الوقت نفسه كانت تحتاج منّي إلى الجرأة والقوة لتنفيذها.

هنا قاطعتهُ باستغراب وقلت:

- ما هي تلك الفكرة المجنونة، التي بدأت ترسخ في ذهنكَ؟، يبدو أنّها قتل الناس على ما أعتقد..

أجابني وهو يبتسم:

- ألم أقل لكَ إنك شخص مختلف عن الآخرين؟، نعم بالفعل كنتُ أريد الحصول على جثث، من أجل استعمال جلود أصحابها وعظامهم لترميم جثة نجلاء، وإعادة الحياة النضارة إليها، فلم أجد إلا تلك الطريقة، بالبحث عن جثث نساء متوسطات في العمر، وسلخ جلودهنَّ، وتركيبها على جسد نجلاء.

هنا شعرتُ بقشعريرةٍ انسلّت إلى جسدي، يالهذا الرجل المجنون ذي الأفكار المختلة!، كيف يفعل ذلك؟، كيف يستطيع سلخ الجلد أو تقطيع العظام وتركيبها ونقلها من جسد إلى جسد آخر، أي قلب هذا الذي يحمله في صدره؟!

أخذَ ذلك المعتوه نفساً عميقاً وقال:

- كانت مهمة شاقة ومتعبة. في البداية كنتُ أعتقد أنني أحتاج إلى جثة واحدة، لأكتشفَ بعدها أنَّ الأمر يتطلب عدداً من الجثث ما بين فترة وأخرى، إضافة إلى أنني تعلمتُ من بعض الكتب التي قرأتها طرق تشريح الجثث، وهذا ما ساعدني نوعاً ما على إتقان عملي.

وطبعاً كانت الشبهات بعيدة كل البعد عني، بسبب وضعي البائس وحالتي النفسية، خاصة بعد الأقاويل التي انتشرت بين الناس أنني أعاني كثيراً من فقدان زوجتي، وهو ما خلقَ شيئاً من التعاطف معي، إضافة إلى التقدم في السن، وحالة الانطواء التي كنتُ أعيشها، ما جعل الشبهات بعيدة عني بشكل كبير.

في البداية بدأتُ أختار ضحاياي، وكدتُ أن أقع في خطأ فادح لولا أنني تداركته بعد ذلك، حيث إنَّ الضحية الأولى التي اخترتُها كانت تعيش في نفس الشارع الذي أسكنهُ. كانت امرأة نوعاً ما بدينة، ساقتْها إليَّ الظروف بشكل غريب جداً. أذكر ذلك اليوم جيداً، كان حاراً جداً، وكنّا في فترة الظهيرة عندما سمعتُ رنين جرس الباب. ذهبتُ لأجد تلك المرأة البيضاء تقف والعرق يتصبب من أعلى جبينها، وكانت وقتها تقول لي: (عمي، أرجوك أريد أن تؤويني عندك). الذي فهمتهُ منها أنّها لا تريد العيش مع زوجها الذي كان يسكن في حيّنا نفسه، وتريد الهروب، وتحتاج أن تختفي لبعض الوقت، حتى يتسنّى لها إيجاد طريقة بعدها للهروب من بيتها نهائياً.

المسكينة كانت تظن أنَّ المكان المناسب، لأنّي رجل كبير في السن وبائس ويحتاج إلى مؤنس لهُ. ولم تكن تعرف أنها جاءت برجليها إلى الموت، وهي غير واعية لما يحدث خلف ظهرها.. نعم، الظروف هيأت لي بشكل مثالي فريسة سهلة.

لا أنكر أنَّ عملية قتلها في البداية كانت صعبة جداً،خاصة أنّها المرة الأولى التي أقتل فيها شخصاً، ولا أنكر أيضاً أنّها كانت متعبة لي، خاصة عندما تذكرتُ عينيها المرتعبتيْن عند قتلها، وأذكر تلك الشامة التي كانت على خدّها، والتي كانت تظهر لي في كوابيسي في تلك الفترة.. الضحية الأولى لا تُنسى بكامل تفاصيلها..

انتبهتُ هنا عندما كان يصف ضحيته الأولى، إنّها بنفس تفاصيل زوجتي الأولى التي فقدتُها، واعتقدتُ أنها هربت مني، وقلت:

- أتذكرُ اسم تلك المرأة؟

صمتَ ونظر إليّ، وقال:

- على ما أعتقد اسمها غادة، وكانت أيضاً من جنسية عربية.

فتحتُ فمي باستغراب غير مصدق ما أسمع!، شعرتُ أنَّ هذا البيت يحمل من الصدمات ما يكفي ويزيد.. زوجتي الأولى غادة، كانت أولى ضحاياه، وكنتُ أعتقد أنها هربت إلى بلادها بعد اختفائها الغريب!. أذكرُ جيداً أنَّ الشرطة حققت في الموضوع لكنّها لم تصل إلى نتيجة معينة، حتى إنَّ عناصرها شكوا أنني أنا قد قتلتها، وفي النهاية لم يجدوا أيّ دليل يورطني بذلك، وبعدها أقفلَ المحضر، وقيِّدت القضية ضد مجهول.

قال لي ذلك العجوز مستفسراً:

- يبدو أنكَ تعرف الضحية جيداً، ملامح وجهكَ تقول ذلك.

قلتُ له وأنا أحاول إعادة التوازن إلى عقلي:

- إنَّها زوجتي الأولى، التي تزوجتُها من أحد البلدان العربية البعيدة، المسكينة كانت تحلم أن تحيا في واقع جميل، ورسمتْ بزواجي منها أحلاماً وردية، لكنّها اكتشفت الواقع المر، خاصة أنني كنتُ في بداية حياتي الزوجية، وكنتُ شديد الغيرة والشكوك من ناحيتها، فحبستُها في بيتي ظناً مني أني بهذه الطريقة أستطيع إخفاءها عن عيون الناس، حتى أتيتُ في يوم الأيام ولم أجدها، وكنتُ أظن أنها هربت بسبب الجنون الذي كنتُ أعيش فيه وقتها، لكن لم أعلم أو أشكّ للحظة واحدة أنكَ أنتَ وراء هذا الاختفاء.

ابتسمَ بهدوء وقال:

- إنّهُ لأمر مفرح أن تكون ضحيتي الأولى هي زوجتك، بصراحة وقتها لم أكن أعرف، أذكر جيداً أنني كنتُ خائفاً، وأيّ شخص يطرق الباب عليّ، كنتُ أشعر بالرعب الشديد منهُ، حتى إنني لم أبحث عن تفاصيل تلك الضحية.. لكن الذي استفدتهُ من تجربتي مع هذه المرأة، أن أختار ضحاياي من خارج المحيط الذي أعيش به.

- هذا كانَ الخطأ الأول الذي وقعتُ به ولم أكرره بعدها، إذ جاءت الشرطة وحققت معي، وكادت أن تدخل المنزل للتفتيش، لكنَّ سمعتي في الحيّ كانت كفيلة بإبعاد كل الشكوك عنّي، وبعدها قررتُ أن يكون ضحاياي بعيدين كل البعد عن المنطقة التي أسكن بها، وبعدها بدأت لعبة القتل التي كانت هوايتي الأولى والممتعة، كونها تعيد إحياء وترميم جثة من أحب.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

لم يكن الأمر سهلاً كما تتصور، إنّه يفوق كل شيء صعب تشعر به. الناس يظنون أنَّ القاتل يعيش بسعادة عندما يقتل ضحيّته، ويعتبر هذا الأمر من الأفعال الذي تنعشه وتفرحهُ.. لا، الأمر غير ذلك بتاتاً، إنّهُ أشبه بالحقنة التي نعلم أنها تؤلمنا لكن في نفس الوقت تشفينا... نذهب لأخذها مرغمين ومرتعبين منها، وبنفس الوقت نعلم أننا سنرتاح بعد ذلك.

شعور مريك!، لكنهُ يعطيك حياة جديدة، زوجتكَ عندما قتلتها؛ قلبتْ كياني كله. كنتُ خائفاً متعباً مما فعلتُ، بينما هناك شعور آخر سعيد يسكن أعماقي، لأنني سأعيد ترميم جسد من أحبّ، لكي أعيش معها فترة أطول.

كنتُ وقتها أنظر إليه ببغض وبكره لا مثيل لهما.. شعرتُ أنني أود الانتقام لأنَّ هذا الملعون قتل حبّي الأول، ومن ثم سمَّم حياتي بتلك الأشياء التي أراها أمامي. لقد أثار جروح الماضي بحكايته هذه.. زوجتي التي بالكاد نسيتُها، تقفز صورتُها أمامي الآن، وفي مكان لم أتصور في يوم الأيام أن أجدها فيه!.قطعَ تأمّلي وحديثي مع نفسي، وأكملَ حديثه وقال:

- كنتُ أعتمد على القتل من خلال طريقتين: الأولى عندما تقع عيني على ضحيّة، مشابهة في لون بشرتها، أو في طريقة كلامها، أو في لون شعرها، أو في أي شيء آخر لحبيبتي نجلاء، حتى تكون المطابقة دقيقة عندما أقوم بترميم تلك الأجزاء. كنتُ أعتمدُ كل الاعتماد على العنصر النسائي كون النساء هنَّ الأقرب لنجلاء في الخصائص الجسدية، بينما العنصر الرجالي لا يخدمني كثيراً. لكن لا أنكر أنني كنتُ أستخدم أعضاء الرجل البشرية في ترميم مناطق أخرى، وكنتُ أترك ترميم المناطق الثانية للصدفة، التي دائماً ما تلعب معي ألاعيبها. بالفعل، يقولون: إذا فكرتَ بشيء فستجذبه إليك.. وها أنا أجذبُ تلك الضحايا إليّ، أصبحتُ كالمغناطيس بالنسبة لهم، وأنتَ أحد مَن جذبتهم ناحيتي.

والمشكلة التي كنتُ أواجهها هي: كيفية التخلص من تلك اللحوم والعظام البشرية؟، حتى لا أتركَ أي أثر لجرائمي، فقمتُ بتربية تلك القطط، وهو أيضاً عامل مساعد، يجعلني أعطي انطباعاً جديداً للناس أنني رجل طيب ومسكين، أستأنسُ بتلك القطط وأربّيها وأعطف عليها. وفي الواقع كنتُ أقطّع ذلك اللحم البشري، ومن ثمَّ أفرمهُ حتى لا تظهر معالمه، وبعدها أعطيه إلى تلك القطط، التي جعلتُ بيتي مزاراً لها. والمشكلة الثانية التي واجهتها كانت في رائحة بقايا بعض الجثث، الرائحة التي خفتُ كثيراً منها، ولم أجد طريقة للتخلص منها سوى بإشعال البخور بشكل يومي، وهو الأمر الذي

جعلني أخفف من رائحة تلك الجثث، أمّا العظام فكنتُ أكسّرها بشكل كبير أخفي كل قطعها، ومن ثم أدفنها، أو أستخدم بعضها في ترميم جسد نجلاء.

تأكدتُ هنا أنني في قبضة رجل مخبول، أصابتهُ لوثة عقلية، ومستعد أن يفعل أي شيء بالمقابل ليريح ذلك الجسد. حكايته من البداية كانت تنذر أنَّ هذا الرجل مؤهل للعمل كسفاح وكقاتل مع سبق الإصرار والترصد. قاطعني مجدداً، وقال:

- ويبدو أنَّ القدر كان يرسل لي بعض الضحايا إلى هنا، والذين هم على شاكلتكَ، والذين يظنون أنَّ بيتي مغارة علي بابا، وفيه الكثير من الأموال، فاصطادهم كالفئران، ومن ثم أبدأ بسلخ جلودهم بكل هدوء.

قلتُ له بحنق:

- كم بلغَ عدد ضحاياكَ منذ أن بدأتَ هذه المهمة؟

قالي لي بثقة تامة:

- بصراحة لا أذكر كم شخصاً قتلت!، لكن طوال الخمس والعشرين سنةً الماضية لم أتوقف كثيراً، وكنتُ أخطف ضحاياي على فترات متباعدة، حتى لا أثيرَ الشبهات. ألم تقرأ في الصحف أنَّ هناك عدداً من الحالات المفقودة؟، ودائماً تُغلق ملفّات القضايا لأنَّ الشرطة لا تتوصل إلى إيجاد هؤلاء الناس، وفي مرات عديدة تُهمل هذه القضايا.

كنتُ في كل مرة بعيداً كل البعد عن الشبهات. الناس يحتاجون إلى مثل شخصيتي؛ لأنني أستطيع أن أضربهم على رؤوسهم، وأعبث بهم بهدوء. هذه هيَ قصتي منذ البداية حتى هذه اللحظة، وأنتَ الآن ستكون أحد ضحاياي القادمين، كما السابقين لك. كنتُ أريد أن أزيح هذا الثقل الكبير عن صدري بالحديث، وكل ما أفكر به الآن، هو إبقاء نجلاء على قيد الحياة، أكثر وقت ممكن.

قلتُ له مقاطعاً حديثه:

- كيف ترتاح في الحديث مع الموتى؟

قال لي مبتسماً:

- إنَّ الحديث معهم أجمل ألف ألف مرة من الحديث مع الأحياء، إنكَ تتأكد أنهم على الأقل لن يؤذوكَ،و لن يُضمروا الشر لك، خاصةً إذا كان مَن تتكلم معه هو جسد مَن تحب، إنّهم مستمعون جيدون، ويعرفون جيداً كيف يتعاملون مع ثرثرتي..

أنزلتُ رأسي بيأس، وتأكدتُ أنني ميت لا محاله، أنتظرُ الموت الذي أراه في عيني هذا المعتوه.

هنا قال:

- أعلمُ جيداً أنكَ بلا حيلة، وأرى ذلك جيداً مرسوماً على وجهك. صدّقني الموت أفضل من هذه الحياة؛ لأنّه في النهاية سيكون أحد الحلول لبعض المشاكل.

قلتُ له بغضب ويأس:

- لماذا لا ترتاح أنتَ بالموت، فقد الأحبّة موت، وأنت فقدتَ الجميع. لماذا قمتَ بإيذاء الناس؟ لماذا لا تتركهم بحالهم؟، ألا تعلم أنّكَ بطريقتك هذه من الممكن أن تحرم المحبّين من بعضهم، كما فعلتَ مع حبيبتي غادة؟!

صمتَ قليلاً، لم يجد أيّة إجابة مناسبة، كان سؤالي له مفاجئاً.

أكملتُ حديثي وقلت:

- يبدو أنكَ جبان تخاف الموت، وهذا ما أراهُ، فضَّلت أن تصاحب الموت، وتغريهِ بتلك الضحايا، لكنكَ لم تستطع أن تعيشَ بهِ، إنكَ تخافه كما تخاف نفسكَ المريضة، التي كذبتَ عليها بادّعائكَ أنكَ إنسانٍ قوي شديد بقتلكَ الناس والتمثيل بجثثهم.. وجدتَ لنفسك المريضة حلاً مريضاً مثلك، بينما هاجس الموت يلاحقكَ، وأنت تهرب منه.

كان ينظر إليَّ بحدّة وبغضب، كأنّي استطعتُ قراءة ما يدور بداخله. لقد استفزيتُ كل ما في داخله.. هنا مدَّ يده داخل جيب ملاءته، ثم أخرج تلك الكفوف الجلدية، والتي على ما يبدو صنعها من جلود ضحاياه، وراح يلبسها في يديه وينظر إليّ.

فجأةً، سمعنا صوت جلبة تحدث في الخارج، وكانَ أمراً مُباغتاً لنا نحن الاثنان.

نظرَ العجوز بارتباك حولهُ، وقال:

- هل قمتَ بإبلاغ الشرطة عنّي بعد هروبكَ من هنا؟ هل أوقعتني في المصيدة وتركتني أقول كل شيء؟ كيف فاتني هذا الأمر؟

قلتُ له بذهول:

- لم أبلّغ أي شخص، فأنا خائف مثلك، خاصة أنني ملاحق من الشرطة، كيف أذهب كي أطلب مساعدتهم؟..

استمرَّ الصمت لدقائق، والأصوات في الخارج تتعالى. أخرجَ ذلك العجوز مسدساً صغيراً من الخزانة التي كانت مركونة في الزاوية. في بداية الأمر كنتُ أظن أنَّ هذا المعتوه سيجهز عليَّ، لكنّه كان مرتبكاً بشكل كبير، وخائفاً جداً. ثم بعد ذلك أزاحَ أحد الدواليب العملاقة، والتي كان خلفها بابٌ صغير فتحهُ بهدوء، ثم نظرَ إليَّ بغضب كبير، وقال لي:

- لن أتركك تتمتع بنصركَ هذا، ستموت قبل أن تبلغه.

ثم وجَّه فوهة ذلك المسدس الصغير ناحيتي، شعرتُ هنا بخوف لا مثيل له، في المقابل شعرتُ براحة.. لا أعلم ما هو الرابط بين الشعورين؟، وماهيَ إلا ثوانٍ حتى سمعتُ صوت طلقات الرصاص، وبسبب خوفي أغمضتُ عينيَّ ليعمَ السواد المكان.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لم أنهض إلا بعدما رأيتُ أن المكان يعج بالعديد من الناس، وهناك عدد من المسعفين يقوم أحدهم بغرز عدد من الإبر داخل جسدي. كنتُ متعباً كثيراً، وتلك الأغلال التي كانت تقيّدني قد فكّت. رأيتُ عدداً من أفراد الشرطة الذين لا أعلم من أين ظهروا؟، وعدداً من الأشخاص منهم من يقوم بالتصوير، وآخرون يتحدثون على الهاتف. كان الموقف أشبه بالحلم، فوضوي، لكنّهُ مليء بالروح والحياة، ثم سمعتُ أحدهم يقول:

- إنّه يستيقظ من إغماءته.

تقدَّم نحوي عدد من أفراد الشرطة، وقال أحدهم لي:

- من الذي فعل بك كل هذا؟

المكان يعج بالجثث والأعضاء البشرية، مَن الذي يعيش هنا؟ وكيف فعل كل هذا؟

ابتسمتُ، ولا أعلم ما سبب ابتسامتي!، هل هي ابتسامة العودة إلى الحياة؟ أم أنّها ابتسامة النصر؟ ثم قلتُ وأنا أمدّ سبّابة يدي ناحية تلك الفتحة:

- إنّه يختبئ في الداخل.. هنا في هذا المكان..

قال لي الشرطي مستفسراً:

- مَن الذي يختبئ هنا؟ لا يوجد مكان للاختباء!

قلتُ له بصوت متعب:

- خلفَ هذا الحائط المموه، هناك فتحة صغيرة، ذلك العجوز المعتوه دخلَ فيها، قبل أن يطلق الرصاص عليّ، وعلى ما يبدو لم يستطع إصابتي..

نظرَ الشرطي إلى المكان الذي أخبرتهُ عنهُ، ومن ثم تقدَّم ناحيته، وراح يضع يده عليه ويتحسسهُ، واكتشفَ بالفعل أنَّ هناك فتحة صغيرة قام بصنعها ذلك المعتوه، كي يختفي بها في حال تمَّ اقتحام بيته. وما أن فتحَ الباب حتى فاحت رائحة كريهة، ثم بعد ذلك طلب العون من مساعديه.

اقتحمَ المساعدون تلك الفتحة ليخرجوا ذلك المخبول منها، وكان ينظر إليَّ بحقد، ويردد:

- كنتُ أعلمُ أنَّ نهايتي ستكون على يدك، شعوري لا يخطئ أبداً، لم أتقن تصويبي للمسدس ناحيتك، كنتُ مرتبكاً وخائفاً.. بالفعل، أنا أجبن من أن أواجهَ الموت، لكن كما قلتُ لك: الموت في بعض الأحيان يكون حلاً.

ألقت الشرطة القبض عليه، وبعدها أخرجت من الفتحة تلك الجثة وهي ما تبقت من جسد نجلاء زوجته، والتي كان يرمّمها بأجزاء من أجسام ضحاياه. كان أفراد الشرطة والمباحث يعيشون حالة من الدهشة والاشمئزاز ممَّا تراه أعينهم، بسبب تلك المناظر التي يعج بها المكان، غير مصدقين أنَّ هذا الأمر حقيقي!!

هنا سمِعَ رجال الشرطة صوتاً جديداً بدأ يظهر في المكان، كنتُ أنا أيضاً متفاجئاً.. من أينَ يأتي الصوت؟. قبل دخولي إلى هذا البيت لم يكن هنا سوى أنا وهذا المجنون، وكان الصوت أتياً من الفتحة الصغيرة التي دخلَ فيها ذلك المختل. تقدَّم اثنان من أفراد الشرطة بحذر، وبدأا بالدخول إلى الفتحة، وغابا دقائق قبل أن يخرجا منها مصطحبيْن فتاة كان محبوسة في الداخل. كان شيئاً يفوق تصور الخيال: من أين أتت هذه المرأة؟ كانت في حالة يرثى لها، محاطة بالقذارة من كل جانب، وتفوح منها رائحة نتنة. وجهها مليء بالجروح والأوساخ، وملابسها بالية شبه ممزقة وغير نظيفة، ثم قالت:

- ولدي في الداخل، أرجوكم أخرجوه..

يا للمفاجأة الأخرى!، ماذا تقصد هذه المرأة أنَّ ولدها في الداخل؟. قامت الشرطة أيضاً بإخراج ولد لم يتجاوز الرابعة عشرَ من عمره، كان محبوساً هو الآخر في الفتحة، وبنفس الحالة التي خرجتْ بها أمه.

نظرَ ذلك المعتوه إلى الجميع ببرود، وبعد ذلك بحركة سريعة أفلتَ يده من يد الشرطي بعد أن سدَّد له ركلة بقدمه، ثم أخرج ذلك المسدس من ملابسه، ووقف في زاوية الغرفة، وقال:

- سلمان، هذا هو نفسه المسدس الذي انطلقتْ منه رصاصة بالخطأ وقتلت نجلاء قبل ثلاثين سنة، أريد أن أموت بالطريقة نفسها، حتى أراها بالطريقة نفسها التي فارقت فيها الحياة، ألم أقل لك: إنَّ الموت في بعض الأحيان يكون أحد الحلول؟

وهذه المرأة التي تعيشُ هنا هي نفسها زوجتك غادة، لقد كذبتُ عليك عندما قلتُ لك إنني قتلتها.. لقد خطفتُها، فأنا أكرهُ الوحدة، ومن الصعب عليَّ العيش من دون أنيس، وكانت هي مؤنسي. لقد سجنتُها في تلك الغرفة السرية طوال ذلك الوقت، وأنجبتُ منها هذا الولد.. الوحدة شعور متعب إذا لم تعشْهُ برغبتك.. كل ما ذكرتهُ لك عن قصتها حقيقي إلا النهاية، لم أرغبْ بقتلها، كنتُ أشعر أنها تشبه نجلاء كثيراً، ولم أرغب في قتلها؛ فجعلتها أسيرتي، التي لم أستطعْ قتلها.

وبعدها، صوَّب المسدس ناحية رأسه، وقال:

- حبيبتي نجلاء: أنا قادم إليكِ، لقد مللتُ هذه الحياة الزائفة.

وأطلقَ رصاصة لينفجر الدم من دماغه ويسقط أرضاً، ويُنهي حقبة مليئة بالدم والعذاب، وسطَ صراخ بعض الموجودين وذهولهم!

بعد تلك الليلة ذهبتُ إلى المستشفى، حيث قاموا بمعالجة كل الجروح التي أصبتُ بها في بيت ذلك المختل، مع بعض العمليات الجراحية بسبب سوء حالتي. وأجرتْ الشرطة معي تحقيقاً كاملاً عمَّا حدث، وأخبرتُهم بكل التفاصيل.

وبعدها عرفتُ كيف علمتْ الشرطة بوجودي في بيت العجوز، فذكرَ لي المحقق أنَّ بيتي كان مراقباً منذ الأيام الأولى لاختفائي، خاصة أنَّ هناك كاميرات مراقبة قد وضعت في المنزل، وأنا لم أنتبه لوجودها. وفي اليوم التالي قامت الشرطة باقتحام البيت بعد بلاغ أحد الجيران الذين أكدوا أنّهم شاهدوا أحداً يدخل المنزل. وبعد الاطلاع على مقاطع الفيديو الخاصة بالكاميرات، اكتشف عناصر الشرطة أنَّ هذا العجوز كان بصحبة رجل آخر قد اقتحما بيتي، ومن ثم خطفاني. ومع بعض التحريات، عرفوا أنَّ الرجلين هما: هذا العجوز وأبو سالم.. فطلبوا إذناً من النيابة لاقتحام المنزل، ووصلوا للتوّ إلى هذا المكان.

و كانت هناك قصة أخرى كنتُ أريد معرفتها، إنّها قصة غادة زوجتي الأولى، التي اختفت من أكثر من ستةٍ وعشرينَ عاماً، لقد قالت لي إنّها بالفعل قدمت إلى بيت هذا العجوز من أجل الاختفاء عن نظري، بسبب تصرفاتي المجنونة وقتها، وشكّي وغيرتي عليها.. لكن لم تكن لديها رغبة بالهروب.. كانت تريد أن تختفي لمدة معينة، لكنّها لم تكن تعلم أنها ستقع بيد رجل مخبول، والذي مارسَ معها كل أنواع الترهيب والتعذيب، وغسيل المخ، حتى جعل منها آلة يتحكم بها كما يشاء. وكانت تنفذ كل ما يريد منها، حتى أصبحت كالجارية لديه.. وحكت لي العديد من القصص المرعبة التي رأتْها بعينها معه، وكيف كان يقتل ضحاياه ببرود عجيب، كما أنّه كان يعاملها معاملة الأزواج، فحملت منه العديد من المرات، وأغلبُ أبنائها كانوا يموتون بسبب سوء الرعاية، والحالة السيئة التي كانت تعيش وسطها في هذا المكان.. ولم ينجُ من مواليدها سوى ذلك الصبي، الذي خرج معها من تلك الغرفة السرية.

لقد مررتُ بتجربة قاسية بمعنى الكلمة، كانت مليئة بالعديد من المفاجآت. تجربة من خلالها اكتشفتُ أموراً عديدة في هذه الدنيا.. بالفعل قد خسرتُ العديد من الأشياء، لكن استطعتُ استعادة بعض الأمور التي فقدتها في الماضي ومنها زوجتي. وهي الأخرى كانت تمر بفترات عصيبة بعد خروجها من ذلك البيت المتعب، وعولجتْ كثيراً بالطب النفسي حتى استعادت بعد فترة

حيويتها، وبدأت تدخل الحياة الطبيعية بهدوء. بينما أنا بدأتُ أعيدُ ترتيب حياتي من جديد، وأنظر إلى الدنيا بشكل أكثر تركيزاً وتوازناً، وأفكرُ ألف مرة قبلَ اتخاذ أيّ قرار، خاصة تلك القرارات التي نتخذها في حالة يأس.

أذكرُ جيداً أنَّ الصحافة تحدثت عن موضوع الرجل المختلّ لمدة طويلة جداً، وهناك العديد من البرامج التي وجدتْ مادة دسمة في الحديث عن ذلك المنزل الذي كان يعجّ بالجثث وأعضاء البشر، واختطاف النساء، إضافة إلى السفاح المخبول..الذي كان يعيش خلفَ قناع رجل عجوز ومسكين. وهناك العديد من القنوات التلفزيونية طلبت مني إقامة لقاءات تلفزيونية للحديث عن تلك الفترة الصعبة التي قضيتُها في ذلك المنزل الغريب!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

الخاتمة

لن يبقى لنفسكَ سوى نفسك، هي سندك ومتّكؤكَ، هي الوسادة التي تأوي إليها، لا تهملها بحجة الظروف والمشاكل، دعْ لها مساحةً من الوقت وعاملها كعشيقة، دلّلها في كل وقت، لأنكَ إذا فعلتَ ذلك؛ ستسموِ على جميع جروحك، ولن يستطيع أحد في أيّة مناسبة أو ظرف أن يخذلكَ، روحك هي الوحيدة التي لن تشعركَ بالخيبة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(تم الكتاب بحمد الله وتوفيقه)

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

متميزون
للكتب النصية
E-Book

<u>لينك الانضمام الى الجروب – Group Link</u>

<u>لينك القنـــــاة – Link</u>

الفهرس..

عن الكتاب..
ملاحظة
إهداء
1
2
3
4
5
6
7
8
9
10
11
12
13
14
15
16
17
18
19
الخاتمة
الفهرس..

Notes

[←1]

اد جين: هو إدوارد إد ثيودور جين سفاح تكساس، والمعروف أيضا بجزار بلينفيلد، ويعد أشهر القتلة المتسلسلين في الولايات المتحدة الأمريكية، بسبب الطرق التي كان يستخدمها في قتل ضحاياه، وكانت بداية إد جين من خلال نبش القبور واستخراج الجثث، من أجل أخذ بعض الأجزاء البشرية، ليصمم منها بعض التذكارات من عظامهم وجلودهم، لكن هذا الأمر لم يشبع رغبة إد جين المريضة، فقام بعد ذلك بارتكاب عدد من الجرائم، التي لا يتخيلها عقل إنسان مريض والتمثيل بجثثهم، من خلال سلخ جلودهم أو تجميع جماجمهم، واستخدامهم في منزله كسلة مهملات مصنوعة من جلد إنسان، أو كعدد من الكراسي المغطاة بجلد آدمي، أو كملابس مصنوعة من جلود بشرية.